الياس مرقص

الحزب الشيوعي الفرنسي وقضية الجزائر

المكتبة الاشتراكية



دار الحقيقة - بيروت

الياس مرقص

الحزب الشيوعي الفرنسي
وقضية الجزائر

١٩٥٩م

في ١٥ شباط ١٩٥٨ ، نشرت هيئة جبهة التحرير الجزائرية في فرنسا وثيقة خطيرة فضحت سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي الجزائرية وبينت ان هذا الحزب لا يتخذ سلوكا مطابقا للمبادىء التي ينادي بها ، مبادىء الاممية البروليتارية وتأييد نضال شعوب المستعمرات .

وعلى اثر صدور هذا البيان ، وبالرغم من جميع الادلة الدامغة الواردة فيه ، اعلن ليون فيكس ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي والمختص بشؤون المستعمرات :

« نحن لا نشعر باننا مذنبون » .

ومضت اشهر . . . وانتصرت الستالينية في الشيوعية الدولية من جديد ، وكرس هذا الانتصار رسميا في مؤتمرات الاحزاب الشيوعية في دول اوروبا الشرقية وفي المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي .
وكشفت الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية عن وجهها المعادي للقومية العربية .

وعاد الحزب الشيوعي الفرنسي الى لهجته القديمة ، لهجة الاستاذ الذي نصب نفسه معلما للشعوب ، ينتقد « اخطاءها » ويسدي لها النصح ... ووقف موريس توريز ، الامين العام لهذا الحزب ، في مؤتمره الاخير ، وارتفع صوته ليؤكد مرة اخرى :

« ان موقف حزبنا من القضية الجزائرية ، هذا

الموقف الذي لا لبس فيه ولا غموض ، والذي يرتكز في آن واحد على الاممية البروليتارية وعلى الدفاع عن المصلحة القومية التي لا تنفصل عنها ، قد تبين انه الموقف الوحيد الصحيح ، الموقف الوحيد الذي يعارض المتابعة الاستعمارية للحرب ».

فما هو موقف الحزب الشيوعي الفرنسي من القضية الجزائرية ؟ ما هي افكاره وشعاراته وكيف جرى تطبيق هذه الافكار والشعارات ؟ وكيف تم « الجمع » بين الاممية البرولبتارية والمصلحة القومية « التي لا تنفصل عنها »

ما هو موقف موريس توريز وحزبه من الحركة الوطنية الجزائرية ومن شعاراتها واهدافها ، قبل قيام الثورة وبعد قيامها ؟

● ● .

الفصل الاول

فترة ماقبل الحرب العالميــة الثانية

(١٩٣٦ ـ ١٩٣٩)

اسفرت انتخابات ايار ١٩٣٦ في فــرنسا عــن نجــاح « الجبهة الشعبية » . وتتألف هذه الجبهة مــن الراديكاليين والاشتراكيين والشيوعيين والهيئات والمنظمات المــواليــة لهم . وعــلى اثر هذا الانتصــار تشكلت في شهر حزيــران حكومة مــن الاشتراكيين والراديكاليين يرأسها ليــون بلوم زعيم الحزب الاشتراكي ويدعمها الشيوعيون .

وقررت هذه الحكومة ادخال بعض التعديلات عــلى سياسة الاستعمــار الفرنسي في الجزائر . فأطلقــت سراح بعض المعتقلين السياسيين ، واصــدرت عفــوا جزئيــا وطبقت اصلاحات محدودة في حقل التشريع العمالي .

ثم اصدرت مشروع القانون الشهير المعروف بمشروع بلــوم ـ فيوليت . وينص هذا المشروع الذي وضعه حــاكم

الجزائر السابق ـ فيوليت ـ على منح الجنسية الفرنسية الى ٢١ الف عربي جزائري من حملة الشهادات العليا واصحاب بعض المراتب او الاوسمة العسكرية (مع احتفاظ هؤلاء بوضعهم الشخصي كعرب مسلمين) .

يمكن القول اذن ان حكومة الجبهة الشعبية لم تمنح الاستقلال للجزائر ، ولم تخط اية خطوة في طريق منح الاستقلال للجزائر . فلم تحقق لها ، مثلا ، نوعا من الحكم الذاتي المحلي ، ولم تعلن عن نيتها في تحقيق هذا الحكم الذاتي . . . بل اكتفت ببعض الاجراءات « الاصلاحية » (١) وبمشروع فيوليت المذكور .

ولا يحتاج الانسان الى ذكاء خاص كي يدرك ان هذه الاجراءات لا يقصد منها سوى العمل على تفكيك الصف الوطني وتخدير الحركة الوطنية وتحويلها الى « تابع » للجبهة الشعبية في فرنسا وذيل للسياسة الفرنسية الداخلية .

اما مشروع فيوليت المذكور فهو تعبير خاص ونوعي عن هذا الخط الاستعماري « المعتدل » ومظهر جديد من مظاهر سياسة الادماج المشؤومة التي درجت عليها فرنسا منذ عام ١٨٧١ ، في فترات مختلفة وباشكال مختلفة .

فعلى اثر انهيار الامبراطورية الثانية ، انهت فرنسا نظام « المستعمرة العسكرية التابعة لوزارة الحرب » ، وهو النظام الذي فرض على الجزائر منذ عام ١٨٣٤ ، وقسمت هذه البلاد الى ٣ ولايات او « محافظات » (٢)

---

١ ـ لعله من المفيد ان نذكر القارىء بان مثل هذه الاجراءات شيء مالوف في سياسة الاستعمار البريطاني ، وان موسوليني قد نهج هو ايضا هذا النهج « الاصلاحي » في ليبيا .

٢ ـ وهي التقسيمات الادارية المطبقة في فرنسا نفسها .

فرنسية يديرها حاكم عام ، ثم منحت يهود الجزائر الجنسية الفرنسية اسوة بالمستوطنين الاوروبيين . وفي عام ١٩١٩ ، في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، منحت فرنسا حق الانتخاب لبعض العرب الجزائريين ، فسمحت لنفر ضئيل منهم بان يرسلوا عنهم ممثلين رمزيين الى مجالس الادارة المحلية دون سواها .

فلم يكن مشروع فيوليت الصادر عـام ١٩٣٦ شيئـا جديدا من حيث الجوهر . بل كان استمرارا وتطويرا لسياسة الادماج التي بدأتها فرنسا منذ عشرات السنين وجـزءا لا يتجزأ من مجمل السياسة الاستعمارية الرامية الى «فرنسة» الجزائـر .

ولم تنطل الخدعة على الحركة الوطنية الجزائرية . فاعلنت منظمة نجم شمال افريقيا (١) رفضها للمشروع وحملت بشدة على سياسة الادماج معلنة انها خرافة غرضها تحويل الاذهان عن النضال في سبيل التحـرر والاستقلال .

اما الحزب الشيوعي الفرنسي ـ وابنه الحزب الشيوعي الجزائري (٢) ـ فقد أيد مشروع فيوليت ، معلنا انه خطوة

---

١ ـ الممثلة الحقيقية الوحيدة لشعب الجزائر . تأسست في فرنسا تعرضت لابشع الوان التنكيل والاضطهـاد . اصبحت في عـام ١٩٣٧ « حزب الشعب الجزائري » وفي عـام ١٩٤٦ « حركة انتصار الحريات الديمقراطيـة » .

٢ ـ تقـرر « أستقلال » **الاتحاد الجزائري للحـزب الشيـوعي** الفرنسي وتحويله الى حزب شيوعي جزائري في مؤتمـر الحـزب الشيوعي الفرنسـي المنعقد عـام ١٩٣٦ . الا ان الحزب الشيوعي الجزائري ـ ومعظم اعضائه وزعمائه من الاوروبيين ـ ظل في الواقع تابعا لشقيقه « الاكبر » ينفذ كـل تعليماته ويتلقـى منه « العون » الادبي والمادي .

عظيمة « الى الامام » !!

في اي طريق ؟ في طريق التحرر والاستقلال ؟ كلا ! ولكن على كل حال في طريق « المساواة والاخاء » .. والادماج !!

لقد كان الادماج هو الهدف الاسمى والمثل الاعلى الذي ينشده موريس توريز وزملاؤه . اما ان يكون لشعب الجزائر كيان قومي آخر ، مستقل عن كيان الامة الفرنسية فهذا ما لم يفكروا به ابدا . ولا ارادوا الاعتراف به . بل نادوا بسياسة الادماج ، عاملين على اظهارها بمظهر السياسة التحررية والتقدمية التي تحقق مبادىء « الحرية والمساواة والاخاء »

واليكم بعض ما قاله توريز بهذا الصدد :

« ما دام ممكنا للفرنسيين في الالزاس واللورين ان يتمتعوا بنظام ديني خاص .. وما دمنا قد قبلنا ذلك مرة بروح الوحدة الفرنسية ، افلا يمكن أن نقبل به للسبب نفسه فيما يخص مسلمي الجزائر ؟

هذا ما يطلبه توريز « لمسلمي الجزائر » : الدخول في احضان الوحدة الفرنسية كاهالي الالزاس واللورين .. وهذا ما يريده توريز لفرنسا : ان تكون امة كبرى (كبرى جدا) تضم الجزائر (وغيرها من المستعمرات) .

ومرة اخرى يدعو توريز الى « توحيد كافة الناس الذين يريدون ان يعيشوا احرارا .. كل فرنسيي فرنسا ، وكل فرنسيي الجزائر ، الفرنسيين المجنسين (١) ، وانتم ايضا ايها المسلمون ، العرب والبربر ، جميع الابناء الذين وحدهم الدم (؟) ، او على الاقل ، قلب الثورة الفرنسية العظيمة » !!

---

١ ـ اي الذين نالوا الجنسية الفرنسية

الطبقات والجماعات والشعوب كلها تذوب في قلب الثورة الفرنسية العظيمة !

« العظيمة » حقا هي روح اللامبالاة التي تسيطر على توريز وصحبه ، روح الاستخفاف بعقول الناس وبحق الشعوب المستعبدة .

والواقع ان هذا الاستخفاف لا يقف عند حد ، بل يتجاوز كل حد !

يقول توريز :

« يوجد مواطنون فرنسيون لهم نظام شخصي خاص اعرف جيدا نائبا سنغاليا اسود يدعى غالاندو ضيوف . وقد ذكرت الصحف الباريسية انه قدم باريس مصطحبا اصغر زوجاته الست . فاذا امكن لغالاندو ضيوف السنغالي ان يتمتع بعدة زوجات وان يكون مواطنا فرنسيا ونائبا في البرلمان ، فلم لا يكون ذلك ممكنا بالنسبة للجزائريين المسلمين ؟ لم يوجد وزنان ومكيالان ؟ »

نعم ! لم يوجد وزنان ومكيالان ؟

ان موريس توريز يوجه عادة — وبحق — للحزب الاشتراكي الفرنسي تهمة الخيانة على اقل من هذا الكلام . فما هو حكم توريز على نفسه ؟

بهذه الطرق الملتوية ، كان زعماء الحزب الشيوعي الفرنسي يعملون بدأب وثبات على اظهار الادماج بمظهر السياسة التقدمية النابعة من روح « الثورة الفرنسية العظيمة »

ولبلوغ هذا الهدف ولف عدد من المثقفين الجزائريين حول مشروع فيوليت وحول سياسة الادماج بشكل عام ، اخذ الحزب الشيوعي الفرنسي ـ وابنه الحزب الشيوعي الجزائري ـ يتبارزان مع العناصر اليمينية المتطرفة ، كالفاشست والملكيين وصلبان النار في فرنسا ، وكبار المستوطنين الاوروبيين ومنظماتهم في الجزائر .

فقد كانت هذه العناصر تعارض كل خطوة « اصلاحية» تقدم عليها فرنسا في الجزائر (وفي المستعمرات الاخرى) ـ سواء قبل عام ١٩٣٦ او بعده ـ . وكل من هذه « الاصلاحات » كان يثير صراعا بين فريقين من الاستعماريين : فريق يرى في الاصلاح « تشجيعا » للحركة الوطنية وتسهيلا لنموها . وفريق يرى فيه خطوة لا بد منها امام نمو هذه الحركة وضرورة لتضليل الشعب وتخديره .

الفريق الاول يمثل مصالح المستوطنين والشركات الكبرى والدوائر العسكرية اليمينية . والفريق الثاني يمثل مصالح الراسمالية الفرنسية كجزء والاستعمار الفرنسي ككل

الفريق الاول لا يفكر الا بالمنفعة الانية والخاصة . اما الفريق الثاني فيريد انقاذ المنفعة « الثابتة والعامة » .

ويمكن القول ان هذا الصراع يعبر عن التناقض ـ الجزئي والمحدود ـ بين الاقطاعية الاستعمارية والعسكرية وبين الراسمالية « الحرة الديمقراطية » ، بين الاستعمار المتطرف والعنيف وبين الاستعمار الاصلاحي والمعتدل ، بين الاستعمار القصير النظر المتمثل في كبار المستوطنين والاستعمار البعيد النظر المتمثل في الحكومة الاستعمارية المركزية .

واذا استخدمنا تعابير الجدلية ـ تعابير ماوتسي تونغ مثلا ـ يصح القول ان التناقض بين الفريقين الاستعماريين

الفرنسيين لا يقوم على التنافي والتعارض . انما هو مجرد خلاف او اختلاف قابل للحل في نطاق النظام الاستعماري ، وقد وجد دائما حله في هذا النطاق .

وهذا ما ادركه الشعب الجزائري . فحارب الفريقين معا ، حارب جميع انواع الاستعمار ، حارب السياسة الاستعمارية جملة وتفصيلا . بل اعتبر الاستعمار الثاني (المعتدل ، الاصلاحي ...) شرا اكبر وخطرا اكبر .

اما الاحزاب الفرنسية اليسارية ـ الاشتراكيون وقسم من الراديكاليين ـ فقد أيدت السياسة الثانية : سياسة الاعتدال والاصلاح .. والادماج ! ولم يخرج الحزب الشيوعي هو ايضا عن هذا الخط ، فنادى بتحويل « العرب والبربر » الى فرنسيين . وكان ، من الوجهة الموضوعية ، سندا كبيرا للراسمالية الفرنسية وللاستعمار الفرنسي .

لم تقتصر مساندته للاستعمار على دعوته للادماج ، بل تعدتها الى شن حرب لا هوادة فيها على الحركة الوطنية المتمثلة في نجم شمال افريقيا (حزب الشعب الجزائري) .

اليكم ما يقوله بهذا الخصوص ، مرسيل اغرتو وهو من اهم كتاب الحزب الشيوعي الفرنسي في مؤلفه « حقيقة الأمة الجزائرية » الصادر في تموز عام ١٩٥٧ .

« في سنة ١٩٣٣ ، طالب نجم شمال افريقيا بالاستقلال التام ، ولكن دون برنامج ودون محتوى واضح (؟؟) . وقد ادت فيما بعد مواقفه القومية الضيقة الى عزله عن حركة العمال الدولية وعن الطبقة العاملة الفرنسية . ولم يساعد هذا الاتجاه على تطوير التضامن مع هذه المنظمة التي تعرضت للقمع البوليسي والقضائي الى ان حلت اخيرا في عام ١٩٣٧ .

وقد اعقبها حزب الشّعب الجزائري الذي تأسس في

فرنسا في العام نفسه ، واستأنف العمل على اساس شعاراتها واتجاهاتها ، مما دفعه الى الوقوف ضد الحركة الديمقراطية الكبرى التي كانت تنمو في فرنسا تحت لواء الجبهة الشعبية .

هذا كله لم يمنع ان عددا من الوطنيين قد كافحوا بشجاعة من أجل مثلهم الاعلى الوطني بتأييدجماهيري حقيقي وقد حل هذا الحزب في عشية الحرب (١٩٣٩) وسجن عدد من مناضليه بينهم مصالي الحاج ثم سلموا لرجال فيشي » (المرجع المذكور ص ١٧٤ ـ ١٧٥) .

هذا ما يقوله مؤرخو الحزب الشيوعي الفرنسي في عام ١٩٥٧ عن تلك الفترة :

لقد اتخذ حزب الشعب الجزائري مواقف قومية ضيقة . ثم وقف ضد الجبهة الشعبية المتعاظمة في فرنسا . الا ان عددا من الوطنيين ، رغم ذلك ، كافحوا في صفوفه بشجاعة . وتعرضوا لبطش حكومة باريس وحكومة فيشي ايضا .

قبل ان نتبين مدى صحة هذا الكلام وقبل ان نجلو الامور على حقيقتها ، ليسمح لنا القارىء بان نوجه شكرنا لمرسيل اغرتو على تهذيبه واعتدال الفاظه ـ تهذيب واعتدال نسبيين على كل حال ـ اذا ما قارنا هذه الالفاظ بما كتبته

صحف الحزبين الشيوعيين الفرنسي والجزائري عن حزب الشعب الجزائري في تلك الفترة التي نحن بصددها . ان اقل التهم التي وجهتها هذه الصحف لحزب الشعب الجزائري انذاك كانت تهمة الخيانة ومؤازرة الفاشستية الاوروبية واذنابها في فرنسا والجزائر !!

اما الان فيبدو ان الحزب الشيوعي لم يعد يجرؤ على اطلاق هذه التهمة صراحة ـ او إنه لا يرى فائدتها ـ لذلك نراه يعدل الفاظه ويسلك طريقا جديدا ملتويا .

في سنة ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ يعلن توريز واعوانه ان حزب الشعب الجزائري حزب فاشستي يعمل لمصالح فاشستية .

اما الان ، فهم يقولون « فقط » انه تبنى مواقف قومية ضيقة وعزل نفسه عن حركة العمال .

في سنة ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ ، يعلنون ان حزب الشعب الجزائري لا يمثل سوى ٢ بالمئة من سكان الجزائر . (١)

اما الان ، فهم يعترفون ان هذا الحزب كان يتمتع « بتأييد جماهيري حقيقي » .

في سنة ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ ، يتهمونه صراحة بانه عارض مشروع بلوم ـ فيوليت (يا للجريمة !) وسياسة الادماج .

اما الان ، فهم يضربون صفحا عن هذا الموضوع واغرتو بالذات يقفز من فوق هذا الموضوع ، ولا يستشهد باقوال رئيسه توريز عن الالزاس واللورين وعن غالاندو ضيوف .

في سنة ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ ، يعلنون انه حليف القوى اليمينية والفاشستية في فرنسا .

اما الان ، فقد تبين انه تعرض لتعسف رجال فيشي . ومرسيل اغرتو مضطر لتعديل الاتهامات (٢)

---

١ ـ وصل هذا الكلام الى جريدة صوت الشعب الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني . العدد ١٠٠ تاريخ ٢٥ شباط ١٩٣٨ . راجع كتاب صفحات مجهولة من تاريخ الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان ، ص ٥١ ـ ٥٢

٢ ـ سوف تشاهد هذا « التطور » نفسه في الحكم على جميع الحوادث الاساسية في تاريخ الحركة الوطنية : مجازر أيار ١٩٤٥ ، قيام الثورة في اول تشرين الثاني ٩٥٤ ... فالمراحل المختلفة تحتاج الى اضاليل مختلفة .

ان سوق الاضاليل الجديدة يحتاج الى اخفاء الاضاليل القديمة او الى تمويلها على الاقل !

ولكن ما هي هذه « المواقف القومية الضيقة » التي يعنيها اغرتو ؟ اليست الاستقلال التام الذي اتى على ذكره في الجملة السابقة ؟

وكيف يأخذ اغرتو على نجم شمال افريقيا ان الاستقلال التام الذي نادى به « لم يكن له برنامج او محتوى واضح » ؛ اذا كان اغرتو وزملاؤه لا يؤمنون بالاستقلال وينبذون الاستقلال اصلا ؟؟

لقد ناضل نجم شمال افريقيا (حزب الشعب الجزائري) في سبيل الاستقلال التام قبل عام ١٩٣٦ وبعد عام ١٩٣٦ . وهذا جعله يتعرض للتنكيل والاضطهاد من قبل حكومات الاستعمار الفرنسي ، حكومة بلوم وحكومة دالاديه وحكومة بيتان ، على يد رجال فيشي وعلى يد رجال « الجبهة الشعبية » - بينما كان الحزب الشيوعي الجزائري ينال الدعم والمساعدة من معظم هذه الحكومات ! -

اما القول ان اتجاه حزب الشعب الجزائري « لم يساعد على تطوير التضامن » معه عندما تعرض لاعمال القمع الاستعماري ، فهو قول يظل على كل حال دون الحقيقة بمراحل !

فلو أن القضية اقتصرت على « عدم التضامن » مع نجم شمال افريقيا (حزب الشعب الجزائري) ضد القمع الاستعماري ، لهان امر .. اما الواقع المخجل الذي يتجاهله اغرتو هو أن الحزب الشيوعي الفرنسي لم يفكر بالتضامن ولم يطرح مسألة التضامن ابدا ، بل على العكس من ذلك ، فقد ايد تدابير القمع التي اصابت نجم شمال

افريقيا (ثم حزب الشعب الجزائري) ... ايدها بكل قواه ، واوجد لها المبررات « الديمقراطية » ، وقدم كل عون للاستعمار (١) .

هذا فيما يتعلق « بالتضامن » .

اما قول مرسيل اغرتو ان حزب الشعب الجزائري قد وقف ضد الحركة الديمقراطية الكبرى التي كانت تنمو في فرنسا تحت لواء « الجبهة الشعبية » ، فينطوي على اكذوبتين اثنتين :

اولا – لم تتحول الحركة الوطنية الجزائرية عن مواقفها في يوم من الايام . لقد استبشرت هذه الحركة خيرا عندما فازت « الجبهة الشعبية » في فرنسا في انتخابات ايار ١٩٣٦ .

وفي يوم ١٤ تموز ١٩٣٦ ، بمناسبة ذكرى « الثورة الفرنسية العظيمة » ، سار خمسون الفا من عمال المغرب العربي في موكب الجبهة الشعبية في باريس خلف لافتات كتبوا عليها بالفرنسية « حرروا سوريا ! حرروا شمال افريقيا ! » (٢)

ولكن بدلا من التحرر ، اصيبت سوريا بسلخ اللواء واصيبت الجزائر بمشروع الفرنسة . وتبددت الامال وتعرضت الحركة الوطنية للقمع الاستعماري الوحشي

---

١ – في كانون الثاني ١٩٣٧ ، ابعد الشيوعيون وانصارهم نجم شمال افريقيا عن « المؤتمر الاسلامي الجزائري » ، بمؤازرة السلطة الاستعمارية . وفي الشهر نفسه ، حلت حكومة ليون بلوم نجم شمال افريقيا .

٢ – كما تظاهر حزب الشعب الجزائري من جديد في يوم ١٤ تموز ١٩٣٧ في مدينة الجزائر رغم ما اصابه من سياسة الجبهة الشعبية ، ومشى الالوف من مناضليه خلف العلم الاخضر من حقل مناورات بلكور الى مكان الحكومة .

في عهد هذه « الجبهة الشعبية » .

ثانيا ـ هل كانت الحركة الديمقراطية المعنية (الجبهة الشعبية) تنمو في فرنسا ، في الفترة التي يتحدث عنها اغرتو في نصه الوارد سابقا ، أي بعد حل نجم شمال افريقيا وتأسيس حزب الشعب الجزائري ؟

لقد تأسس « حزب الشعب الجزائري » في ١١ اذار ١٩٣٧ في فرنسا . فما هو المصير الذي آلت اليه الجبهة الشعبية في فرنسا ابتداء من هذا التاريخ

حسما للمشكلة ، لا بأس من الاعتماد على المصادر الشيوعية نفسها .

ان المؤرخين الشيوعيين (بوفييه ، غاكون ، د . ن . بريت) يميزون في تاريخ الجبهة الشعبية أربعة ادوار : دور النهوض ، دور التجميد ، ثم دور الانحطاط فالانهيار .

في اذار ١٩٣٧ ، انتهى دور النهوض ، وبدأ دور التوقف والتجميد . لقد انتهى عهد الاصلاحات الداخلية في فرنسا ، « اثر اشتداد ضغط الرأسمالية الفرنسية والاكراه المالي والتلاعب بالعملة ، وازدياد تذبذب الراديكاليين وتخاذل الاشتراكيين » (١) .

وسقطت وزارة بلوم الاشتراكية ـ الراديكالية ، ثم قامت في كانون الثاني وزارة راديكالية صرفة ـ أي اكثر الى اليمين ـ برئاسة شوتان ، بتأييد من اليسار واليمين . « وانكشفت بسرعة كعدوة للطبقة العاملة » (١) .

---

١ ـ د . ن . بريت : « سقوط الجمهورية الثالثة » .

وعلى اثر احتلال هتلر للنمسا (اذار ١٩٣٨) ، تشكلت وزارة بلوم الثانية من الراديكاليين والاشتراكيين ولكنها لم تعش الا اسابيع قليلة . ثم اعقبتها حكومة دالاديه المؤلفة من الراديكاليين وبعض عناصر الوسط المعارضة للجبهة الشعبية صراحة . وعقدت هذه الحكومة مع المانيا وايطاليا معاهدة ميونيخ الموجهة ضد استقلال تشيكوسلوفاكيا (ايلول ١٩٣٨) . ثم عقدت اتفاقا ثنائيا مع المانيا موجها ضد الاتحاد السوفياتي (اتفاق بونيه ـ ريبنتروب ، كانون الاول ١٩٣٨) . وانتقل الحزب الاشتراكي نفسه ـ بعد الحزب الشيوعي ـ الى المعارضة . واصبحت حكومة دالاديه تعيش بأصوات اليمين والوسط وقسم من الراديكاليين .

●

من هذا العرض التاريخي السريع ، يتبين لنا ان « الجبهة الشعبية » لم تكن انذاك (١٩٣٧ ـ ١٩٣٨) في طور النمو ، بل كانت في طور الجمود ثم الاضمحلال والتفسخ والزوال . والسياسة الفرنسية بدأت تنزع الى « اليمين » منذ عام ١٩٣٧ ، في الحقل الداخلي والحقل الخارجي ايضا : في اسبانيا (سياسة « عدم التدخل » منذ عهد حكومة بلوم الاولى) واوروبا ، وفي المستعمرات : سوريا ، مراكش ، الجزائر الخ ...

افلا يعلم مرسيل اغرتو هذه الحقائق ؟ وكيف يجرؤ على تضليل العمال الفرنسيين حول تاريخ بلادهم ؟ لا سيما وان جميع الابحاث الشيوعية التي تروي تاريخ فرنسا بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ محشوة بعبارات التهجم على الراديكاليين والاشتراكيين « الذين خانوا الطبقة العاملة وخانوا الجبهة الشعبية وخانوا قضية الديمقراطية في اوروبا والعالم » الخ ...؟

فهل يريد اغرتو من الحركة الوطنية الجزائرية ان تؤيد اولئك الذين « خانوا الطبقة العاملة وخانوا الجبهة الشعبية وخانوا الديمقراطية » ؟

هل يريد من الحركة الوطنية الجزائرية ان تؤيد اجراءات الفرنسة ؟ هل يريد منها ان توافق على مشروع فيوليت في تجنيس عدد من العرب الجزائريين بالجنسية الفرنسية ؟ او مرسوم شوتان الصادر بتاريخ٨اذار ١٩٣٨ الذي ينص على وضع اللغة العربية في الجزائر في مرتبة « اللغات الحية الاجنبية » (شأنها شأن اللغة الالمانية والانكليزية والايطالية) (١)

او المادة ٨٠ من المرسوم التشريعي الصادر بتاريخ ٢٤ ايار ١٩٣٨ والتي تنص على ضرب جميع الذين « تسول لهم انفسهم العمل ضد وحدة الاراضي الفرنسية » ؟..

ان الحركة الوطنية الجزائرية ـ المتمثلة بحزب الشعب الجزائري ـ قد حاربت هذه السياسة من اولها الى اخرها ، معتبرة الاستقلال الوطني هدفها الاول وامنية الشعب المقدسة . لقد حاربت الاستعمار ، حاربت كل استعمار .. استعمار فرنسا اليمينية واستعمار فرنسا اليسارية .

ولم تفكر لحظة واحدة بمساعدة استعمار ضد استعمار .

---

١ ـ في الواقع بعدها ! لقد كان هذا المرسوم ومجمل السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر يرمي الى اخراج اللغة العربية من حقل التعليم وتحويلها الى لغة « فولكلورية » ، اي قتلها . ومشروع فيوليث جزء من هذه الخطة الرامية الى القضاء على معالم القومية العربية في الجزائر .

وبينما كانت حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا تخون تعهداتها والتزاماتها ، تابعت الحركة الوطنية الجزائرية طريق النضال في ظروف التعسف والارهاب . وبينما كانت حكومة دالاديه تمديدا لروما وبرلين و«تشجع العدوان الفاشستي» (١) في اوروبا ، فتقوم ايطاليا بعدوانها على الشعب الالباني (نيسان ١٩٣٩) ، كانت جماهير الشعب العربي الجزائري تعلن سخطها واستنكارها للعدوان في مظاهرة ضخمة في مقبرة قسنطينية ..

يبدو ان الدعوة الى تجنيس الجزائريين بالجنسية الفرنسية لم تكف . فهي لم تخدع احدا تقريبا .. امثال غالاندو ضيوف نادرون ..

ولئن تولدت بعض الاوهام في اذهان بعض المثقفين ، فقد تبددت هذه الاوهام بسرعة . تبددت الاوهام وزالت الامال المعلقة على الجبهة الشعبية . وزالت الجبهةالشعبية

لقد تحطمت مشاريع الادماج على صخرة وعي الشعب العربي في الجزائر . وايضا بسبب « تعنت كبار المستوطنين » (كما يقول الاشتراكيون والشيوعيون الفرنسيون — والجزائريون — وكأنهم آسفون لهذا الفشل .. اسفون لان قلب فرنسا العظيم لم يتسع « للعرب والبربر » والسنغال وغيرهم ..)

ان « قلب الثورة الفرنسية العظيمة » لم يعد يكفي وشعار « الوحدة الفرنسية » يحتاج الى تكملة .. لا بد

---

١ — الكلمة لستالين . وقد كررتها الصحف الشيوعية مرارا ، ويستطيع القارىء ان يجدها في جميع المؤلفات الشيوعية الخاصة بتلك الفترة .

من تكملة والا ذهبت خطط التضليل ادراج الرياح !

وجاءت التكملة على يد موريس توريز ، وهي نظرية « الامة الجزائرية في طور النشوء والتكون » .

فقد وضع موريس توريز هذه الفكرة وفصلها في خطابه بمدينة الجزائر في ١١ شباط ١٩٣٩ .

قال توريز :

« ان موقفنا نحن الشيوعيين واضح .

نحن نرفض كل تفاوت في الحقوق بين البشر ، بين الشعوب . ونقر حق الحياة الحرة ، كافراد وجماعات ، للجزائريين ، لجميع الجزائريين ، الفرنسيي الاصل والعرب والبربر واليهود ...

ثمة امة جزائرية اخذة في التكون هي ايضا بتمازج عشرين عرقا ..

ثمة امة جزائرية تتكون تاريخيا ويمكن ان تساعد على تطورها جهود الجمهورية الفرنسية . افلا يمكن ان نجد بينكم احفاد تلك **الاقوام النوميدية** القديمة التي كانت متحضرة حتى جعلت من اراضيها اهراء روما القديمة ، واحفاد اولئك **البربر** الذين أعطوا الكنيسة الكاثوليكية القديس اوغسطين ، اسقف هيبون ، كما انجبوا فى الوقت نفسه دونا المشنق ، واحفاد أولئك **القرطاجيين** واولئك **الرومان** وجميع الذين ساهموا منذ قرون عديدة في ازدهار حضارة تشهد بها اليوم مخلفات كثيرة ؟.. وهنا الان ابناء **العرب** الذين جاؤوا خلف راية **النبي** ، وابناء **الاتراك** الذين اعتنقوا الاسلام وجاؤوا بعدهم فاتحين جددا ، وابناء **اليهود** الذين استوطنوا هذه الارض منذ قرون . هؤلاء جميعا قد تخالطوا على أرضكم الجزائرية ، ويضاف اليهم **الاغريق**

والمالطيون والاسبان والايطاليون والفرنسيون (١) » ...

ما هو فحوى هذا الكلام الذي اصبح القاعدة النظرية الاساسية لسياسة الحزب الشيوعي الفرنسي طيلة عشرين عاما ؟

اولا ـ فكرة « الامة الجزائرية » . اما ان تكون الجزائر من الامة العربية ـ او حتى « العالم العربي » ـ فهذا غير وارد اطلاقا.

ثانيا ـ ان هذه الامة لم تكتمل بعد . فهي في طور النشوء والتكون . ولامجال للتحدث عن امة جزائرية متكونة ، او حتى عن كيان جزائري او شعب جزائري متكون ـ النصوص الشيوعية ، كما سوف نرى مرارا ، تقول « سكان » الجزائر و « جماعاتها العرقية » الخ. وهي تستبعد تعبير « الشعب » الجزائري .

ثالثا ـ ان هذه الامة تتكون « بانصهار شعوب واجناس مختلفة » ، « بتمازج عشرين عرقا » : النوميديون والبربر والقرطاجيون والرومان (والفاندال والبيزنطيون .) والعرب والاتراك واليهود والاغريق والمالطيون والاسبان، والايطاليون والفرنسيون (من الالزاس واللورين وسافوا وكورسيكا ومناطق اخرى مختلفة) الخ..

وهذه الاقوام والاجناس متساوية في دورها التاريخي. ولئن كان العرب مثلا قد انشأوا حضارة عظيمة ،

---

١ ـ يستطيع القارىء ان يجد هذا الكلام في مؤلفات توريز الكاملة (الجزء ١٦ ص ١٧٩) وفي كتاب « ابن الشعب » لتوريز ، طبعه عام ١٩٥٤ (ص ١٥٣ ـ ١٥٤) . وكذلك في كتاب ليون فيكس الذي اصدره الناشر العربي في بيروت بعنوان مزيف « الجزائر حتف الاستعمار » وفي كتاب مرسيل اغرتو المذكور سابقا (ص ١٩٦ ـ ٢٠٠)

فالنوميديون ايضا كان لهم حضارة عظيمة . وكذلك البربر الذين انجبوا اوغسطين ودونا .

رابعا ـ الفرنسيون و (الاسبان والايطاليون ...) هم جزء من هذه « الامة الآخذة في النشوء والتكون » مثلهم مثل « العرب والبربر » ..

وعلى نتيجة الانصهار والتمازج بين هذه الاقوام المختلفة ـ وبالتالي بين الجماعتين « العربية ـ البربرية » والاوروبية ـ يتوقف تكون الامة الجزائرية .

خامسا ـ دور « الجمهورية الفرنسية » ـ اي دور الاستعمار الفرنسي ـ تسهيل نشوء الامة الجزائرية والمساعدة على تطورها .

قد لا يفهم القارىء « الساذج » كيف يكون ذلك، وكيف تتحقق هذه المساعدة . اما هؤلاء الماركسيون الاذكياء فعندهم تفسير لكل شيء ، والمساعدة المذكورة تتم بالطبع عن طريق انماء الروابط الاقتصادية والوحدة السياسية ونشر الثقافة ورفع لواء المحبة والاخاء الخ

هذا هو فحوى ((نظرية)) موريس توريز التى كررها فى مناسبات كثيرة ومؤلفات عديدة ،وعمل الحزب الشيوعي الفرنسي وذيله الحزب الشيوعي الجزائري على نشرها وترسيخها فى اذهان الناس .

فما هي قيمة هذه الاراء ؟ هل هي صحيحة من الوجهة النظرية ؟ وهل هي مفيدة من الوجهة العملية ـ التطبيقية ؟

اولا ـ من المعروف ان الكيان الجزائري جزء من الكيان العربي وان الشعب الجزائري جزء من الشعب العربي ومن الامة العربية .

والامة العربية جماعة ثابتة تتميز برابطة اللغةوالتاريخ والارض والتكوين النفسي والثقافة والحضارة ـ وهي علائم مشتركة لكل اجزاء هذه الامة الواحدة من المغرب الاقصى الى العراق . . اما وجود اقليات في الوطن العربي (١) فهو ظاهرة عادية مألوفة تعرفها جميع الامم ولا سيما الامة الفرنسية (٢) ، وهذه الظاهرة لا تنفي وجود الامة العربية كما انها لاتنفي وجود الامم الاخرى .

ان القول « بامة جزائرية »ـ يساعد الاستعمار الفرنسي في نشوئها وتكونها ! ـ لا يعني موضوعيا سوى انتزاع الجزائر من قلب الوطن العربي واقتطاع الشعب الجزائري من جسد الامة العربية .

والحال ، تلك هي اهداف الاستعمار الفرنسي . وتلك هي ايضا سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي.

ثانيا ـ القول بفكرة « نشوء وتكون » الشعب الجزائري والكيان الجزائري معناه انكار وجود هذا الشعب وهذا الكيان ابان دخول الاستعمار الفرنسي الى الجزائر . وهذ ما يخالف كل معطيات التاريخ.

في عام ١٨٣٠ ، كان هناكشعب جزائري وكيان جزائري، وكانت هناك دولة جزائرية مستقلة ومعترف بها ، تتبادل معها الدول ـ ولا سيما فرنسا ـ التمثيل الديبلوماسي .

ان الاستعمار الفرنسي ومؤرخيه يتجاهلون هذه الحقيقة ويزورون التاريخ ليظهروا الجزائر قبل الفتح

---

١ ـ الاقلية الاوروبية في الجزائر مثلا أ

٢ ـ الالزاس ـ لورين وغيرها .

بمظهر « الارض » التي تسكنها اقوام مختلفة وقبائل متنافرة ــ شأنها شأن سيبيريا عندما دخلها الروس او اراضي الولايات المتحدة الاميركية قبل دخول الرجل الابيض ــ وليبرزوا « دور »الفتح الفرنسي و« المدنية الفرنسية » (١)

ومن واجبنا الاعتراف بان الحزب الشيوعي الفرنسي قد تبنى هو ايضا هذا الموقف وعمل على « فلسفته » ساعيا الى تبييض صفحة الاستعمار واختلاق وجه ايجابي له .

ثالثا ــ صحيح ان شعب الجزائر لم يتكون من سلالة عرقية واحدة . والمعروف ان الشعوب والامم لا تتكون من سلالة عرقية واحدة ، بل هي تتكون « بتمازج وانصهار اجناس واقوام مختلفة » .

ولكن المسألة هي دور هذه الاقوام المختلفة ، دور موجات الفتح او الهجرة الخ . . فالفتح العربي (الهجرة العربية) هو الذي لعب الدورالاساسي والحاسم فيتكوين معالم الشعب الجزائري ، فطبعه بالطابع العربي وادخله فى حظيرة القومية العربية .

وان تاريخ الامة العربية في هذا المجال لا يختلف عن

---

٤ ــ لا بأس من ان نعرض هنا ما يقوله الجنرال ديغول في نفس الموضوع . وبذلك يستطيع القارىء ان يقارن بين موقف الزعيمين الفرنسيين ، اليساري واليميني . يقول دبغول :
« منذ ان كان العالم عالما ، لم تكن هناك وحدة جزائرية ، وبالاحرى لم تكن هناك شخصية جزائرية . فالقرطاجيون والرومان والفاندال والبيزنطيون والعرب السوريون وعرب قرطبة والاتراك والفرنسيون قد دخلوا بالتوالي الى هذه البلاد دون ان تكون هناك في اي وقت وتحت اية صورة دولة جزائرية »
(بيان ديغول في ١٧ ــ ٩ ــ ٥٩ . جريدة لومند الفرنسية تاريخ ١٨ ــ ٩ ــ ٩٥٩) .

تاريخ الامم الاخرى : الامة الفرنسية او الامةالروسية (١) .

من المستحيل لاي باحث (او مستشرق !) لم يفقد اخر ذرة من الوجدان والامانة العلمية ان يضع العرب من جهة والنوميديين والقرطاجيين من جهة اخرى على صعيد واحد .

والتنكر لدور العرب الخاص والحاسم ليس الا جزءا من الخطة الاستعمارية الرامية الى قتل سمات الشعب الجزائري الحقيقية .

رابعا ـ ان وضع العرب والنوميديين الخ . .على صعيد واحد خطأ فظيع لا يعادله سوى الخطأ الاخر : وضع الاقلية الاوروبية من جهة وشعب الجزائر العربي (« العرب والبربر» كما يقول توريز)من جهة اخرى على صعيد واحد (٢) ،

١ ـ لقد جاء الروس ـ وهم من السلاف ـ الى روسيا كفاتحين وتمازجوا ـ وتحاربوا ايضا ! ـ مع القبائل الفينية وغيرها من القبائل التي تسكن روسيا ـ وسيبيريا ـ . وتكونت الامة الروسية على هذا الاساس بتغلب اللغة الروسية والخصائص القومية الروسية ، في تلك الارض الشاسعة التي تمتد من بحر البلطيق الى المحيط الهادي وكذلك تكونت الامة العربية الواحدة من خليج البصرة الى المحيط الاطلسي ، بفضل موجات الهجرة والفتح

٢ ـ على هذا الاساس ليس في الجزائر سكان اصليون ولا استعماريون دخلاء . انما الجميع فاتحون ومهاجرون . بعضهم جاء منذ الفي عام وبعضهم منذ مئة عام . وكلهم متساوون . ان عرض توريز لا يختلف عن موقف الجنرال ديغول كما بينا في شرح سابق . وهو ايضا موقف الصهيونيين . يقول الكسندر ريتر، السكرتير العام للاتحاد الصهيوني في فرنسا :

« ان العرب في شمالي افريقيا ليسوا « اصليين » اكثر من الفرنسيين ، او اكثر من البيض في اميركا او من الانكلوسكسون في بريطانيا » ـ جريدة لومند ، عدد ٩ تشرين الاول ١٩٥٩ ـ.

ان ديغول وريتر وتوريز يقولون نفس الكلام .

ودمجهم قسرا فى كيان قومي واحد .

ان اعتبار المستوطنين الفرنسيين (والايطاليين والاسبان) جزءا من « الامة الجزائرية الاخذة فى النشوء . . » امر يخالف العلم ، بل ويخالف ايضا تعريف ستالين للامة ، هذا التعريف الذي استند اليه توريز واعتبره التعريف العلمي الوحيد للامة .

فهذا التعريف يشترط لكل امة اربع علائم مميزة : اللغة والارض والحياة الاقتصادية والتكوين النفسي الذي يجد تعبيرا عنه فى الثقافة . فهل تتوفر العلائم الاربع فى هذه « الامة الجزائرية » الغريبة الهجينية ؟

كلا . بل هناك هوة سحيقة تفصل بين السكان العرب والمستوطنين الاوروبيين : اللغة والملامح النفسية والثقافة (١) .

اما « الرابطة » الاقتصادية بين الجماعتين فتقوم على استثمار جماعة لجماعة استثمارا فظيعا لم يتولد من التطور الاقتصادي للمجتمع بل نشأ من عوامل اخرى ، نشأ من الفتح والعنف والتسلط .

والحق يقال ، ان توريز عندما يتحدث عن فرنسيي الجزائر يستعمل عبارات شعرية لا تنسجم مع الواقع :

« فرنسيون واي فرنسيين ! فرنسيو اقاليم فرنسية كجزيرة كورسيكا ومنطقة سافوا ، فرنسيو ارض الالزاس الذين وفدوا الى الجزائر عام ١٨٧١ حتى لا يكونوا

---

١ ـ لا ريب ان توريز يدرك تعارض نظريته مع تعريف سيده . الا ان هذا التعريف يتعارض الى حد ما مع نوايا توريز . فلم يتلكأ عن مخالفته. وسكت ستالين عن المخالفة لانها صادرة عن احد الاتباع الخلص .

بروسيين ! » .

كلام جميل حقا . ان تمسك هؤلاء الفرنسيين بهويتهم القومية جدير باعتزاز توريز!

ولكن كيف يريد توريز من هؤلاء الذين رفضوا ان يكونوا بروسيين ان يقبلوا بان يصبحوا جزائريين عربا ؟

والحال تلك ليست فكرة توريز . بل هو يريد ان يجعل منهم ، ومن جميع سكان الجزائر ، جزائريين وحسب ، وبالاصح جزائريين فرنسيين .

والمستوطنون الفرنسيون ـ الذين رفضوا ان يكونوا بروسيين ـ هم في نظر توريز وساسة الاستعمار ، اداة الفرنسة الاولى فى الجزائر !

ذلك هو رأي توريز فى فرنسيي الجزائر . وذلك هو رأيه فى الاستعمار الفرنسي . اما الحقيقة التاريخية ، فتقولها جبهة التحرير الوطني:

« عرف الشعب الجزائري بعد هزيمته اسود مرحلةفي تاريخه . فقد عمل الاستعمار الفرنسي منذ دخوله الى الجزائر علىتوطين سكان اوروبيين فى ارض الجزائر .وقد مارست هذه الاقلية ، بوصفها قوة غزو واجتياح ، سلطة لا حد لها ولا رقيب عليها ، واستثمرت لمصلحتها وحدها وضد مصالح الشعب الحيوية الثروات الطبيعية والبشرية استثمارا منتظما ..» (تقرير عام عن الجزائر ، باللغة الفرنسية ، الجزء الاول ، ص ٢)

خامسا ـ ان رأي توريز عن دور الجمهورية الفرنسية في المساعدة على نشوء الامة الجزائرية وتطورها هو جزء متمم لهذه النظرية ، جزء حاسم يكشف عن هويتها الحقيقية .

فبموجب هذا الرأي يتحول الاستعمار الى وصاية مشروعة وظيفتها العمل على تحقيق قوانين التاريخ الموضوعية وبموجبه يصبح دور فيوليت وكاترو ونيجلان فى الجزائر كدور بسمارك فى المانيا او كافور وغاريبالدي في ايطاليا(١)

نحن لم نسمع قط بان احدا من الماركسيين قد سبق توريز الى هذا الابتكار . وهذا التطوير الخلاق لتعاليم الاشتراكية العلمية يجب ان يسجل على اسم توريز .

ولكن لم تمض اسابيع قليلة حتى اقتفى اثره خالد بكداش عندما اعلن ان من جملة الفوائد الكثيرة ـ بل الفائدة الجوهرية ـ التى تجنيها سوريا من المعاهدة مع فرنسا (معاهدة ١٩٣٦) انها تساعد على تكون «الامة السورية»!(٢)

هنا تنتهي المرحلة الاولى في تاريخ السياسة الانتهازية والاستعمارية ـ العنصرية التي ينهجها الحزب الشيوعي الفرنسي ازاء القضية الجزائرية .

وفي هذه المرحلة ، تكونت الاسس النظرية والعملية لهذه السياسة . وهذه الاسس هي: اعتبار الجزائر جزءا من الوحدة الفرنسية والدعوة الى سياسة الادماج ، والقول

---

١ ـ او اكثر . فدور بسمارك وامثاله اقتصر على توحيد احزاء الامة ... اما فرسان الامة الجزائرية فوظيفتهم اعمق جذورا وابعد مدى : انها تكوين هذه الامة واخراجها من حيز الامكان الى حيز الوجود . وتوريز يضع اكاليل الغار على رؤوس هؤلاء الفرسان .

٢ ـ ولكن بدون لواء الاسكندرون !! راجع كتاب خالد بكداش « طريق الاستقلال » الصادر عام ١٩٣٩ ، ص ١٤ . راجع كتاب صفحات مجهولة من تاريخ الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان

بنظرية « الامة الجزائرية الآخذة في النشوء والتكـــون » بمساعدة الجمهورية الفرنسية وفي ظل الوحدة الفرنسيـــة، نبذ مبدأ الاستقلال نظريا وعمليا وشن الحرب على الحركة الوطنية لتمسكها بالاستقلال ورفضها الادماج وتوجيه شتى الاتهامات لهذه الحركة ولتنظيماتها وزعمائها .

وهذه السياسة ،في العرف الماركسي، ليست سياسة الاشتراكية البروليتارية الثورية، بل سياسة الاشتراكيـــة ـ الشوفينية والاشتراكية ـ الاستعـــمارية ، سياســـة الاشتراكيين ـ الخونة والاممية الصفراء . انها سياســة برنشتاين ودافيد وفان كول ومولكنبور وبلوم وامثالهم .

انها أيضا سياسة عهد التكتلات والمعسكرات ، عهـــد الائتلاف والمساومات على حساب الشعوب .

●●

الفصل الثاني

الحرب العالمية الثانية ومجازر ايــار ١٩٤٥

(١٩٤٠ ــ ١٩٤٥)

كان جوهر سياسة الجبهة الشعبية ، فى نظر موريس توريز، توحيد الطبقة العاملة الفرنسية وتحقيق زعامتهــا في حلف يجمعها مع الطبقات الوسطى (البرجوازيــــة الديمقراطية المعادية للفاشستية والمتمثلة فى الحــــزب الراديكالي) . والواقع ان الطبقة العاملة هي التى وضعـت تحت زعامة هذه البرجوازية وتحولت الى قوة دعم لهــا فأيدت مواقفها فى المستعمرات وتبنت هــذه المواقــف دونما تحفظ .

وكانت الحجة التى تذرع بها توريز واعوانه وجــوب درء خطر التوسع الفاشستي فى اوروبا . الا ان هــذه

السياسة بقيت دون جدوى . وتوسعت الفاشستية في اوروبا . وانهارت فرنسا . وأنتقل« التوسع الفاشتي » الى افريقيا ايضا .

وفي ٨ تشرين الثاني ١٩٤٢ ، نزلت القوات الاميركية في شمالي افريقيا . وشهدت الجزائر ، في ظل الاحتلال الاميركي ، صراعا مكشوفا بين زمر الاستعمار الفرنسي المختلفة : انصار بيتان (جماعة الاميرال دارلان) ،والملكيين (انصار الكونت دي باريس) ، وانصار الجنرال جيرو ، ثم الديغوليين .

وتوالت المؤامرات ... واسفرت تصفية الحساب بين هذه الطوائف عن فوز الجنرال ديغول ألذي خلف جيرو بينما اصبحت مدينة الجزائر مقرا لحكومة « فرنسا الحرة »

ودشن ديغول عهده في ٥ حزيران ١٩٤٣ بتعيين غابرييل بيو مفوضا ساميا ومقيما عاما لفرنسا في مراكش . وبيو هذا من « الاستعماريين المتطرفين » له سوابق خطيرة فى المستعمرات : فهو الذي عطل الدستور وحل البرلمان فى دمشق وبيروت (١٩٣٩ ــ ١٩٤٠) ، وخلع باي تونس فى ايار ١٩٤٣ . ولم يلبث ان قاد حملة وحشية ضد الحركة الوطنية في مراكش في كانون الثاني ١٩٤٤ .

وعين الجنرال كاترو ،في ٨ حزيران ١٩٤٣ ، حاكما عاما فى الجزائر . ومن الممكن تصنيف هذا الجنرال بين « الاستعماريين ــ المعتدلين » دعاة الاصلاح . . والادماج .

ورغم كونه من « المعتدلين » ، فقد بدأ عهده بمجزرة « صغيرة » نفذت بتاريخ ٢٥ تموز ١٩٤٣ فى مدينة فيليبفيل وذهب ضحيتها ١٤ قتيلا من المدنيين العرب على يد جنود السنغال تحت قيادة ضباطهم الفرنسيين.

وتنفيذا لسياسة الادماج ، صدر في عهده مرسوم ٧ اذار ١٩٤٤ . وينص هذا المرسوم، الذي قام بروح مشروع بلوم ـ فيوليت السابق ، على منح الجنسية الفرنسية الى حوالي ٥٠ ـ ٦٠ الف عربي جزائري من حملة ألشهادات الجامعية والالقاب والاوسمة والممثلين السياسيين.

وبالاضافة الى ذلك ، منح حق التصويت والترشيح للعرب. فاصبحوا يشكلون « الهيئة الانتخابية الثانية » باستثناء الفئة القليلة التى منحت ألجنسية الفرنسية، فضمت بذلك الى « الهيئة الانتخابية الاولى » حيث تصوت مع الاوروبيين.

وقابلت الحركة الوطنية هذا ألتدبير بالسخرية والازدراء . فالشعب الجزائري لم يكن يطالب بحق التصويت أو بالجنسية الفرنسية ، بل كان يطالب بالاستقلال . وقد اعلن جميع الزعماء ألوطنيين انهم يريدون التحرر لا الادماج ، التحرر في اطار الدولة الجزائرية .

اما الحزب الشيوعي الفرنسي(والحزب الجزائري) فقد اعلن تأييده للجنرال كاترو تأييدا لا يشوبه تحفظ . لقد وافق على سياسة الجنرال ((ألاصلاحية)) ووافق

على مرسوم ٧ اذار بحماس منقطع النظير .

وكتبت جريدة الحزب الشيوعي الجزائري «الحرية» الصادرة باللغة الفرنسية في مدينة الجزائر مقالات طويلة شرحت فيها محاسن القرار ، ووصفته بانه « تقدم هائل ، وخطوة عظيمة الى الامام » (عدد ١٦ اذار ١٩٤٤) ، وأبدت اسفها لحدود مجال تطبيق هذا المرسوم ، وطالبت بتوسيع تطبيقه حتى يشمل فئات اخرى !!

ولما كان الزعماء الوطنيون مجمعين على رفضه ، فقد شنت الجريدة حملة جديدة ضدهم ، متهمة اياهم بانهم من « المتعاونين » (١) ـ أي انصار حكومة فيشي وأعوان الالمان ـ

تلك هي السياسة التى سار عليها الحزب الشيوعي ألجزائري بتوجيه من الشيوعيين الفرنسيين . اذ كان الحزب الشيوعي الفرنسي يشرف اشرافا تاما على الحزب الجزائري (٢)

ولهذه السياسة وجهان متكاملان متلازمان : وجه انتهازي يميني (الموافقة على السياسة الحكومية والتعاون مع السلطة) ، ووجه انتهازي يساري انعزالي (التهجم

١ ــ وهي افظع تهمة يمكن ان توجه لانسان بنظر الشعب الفرنسي في زمن الحرب .

٢ ــ من الجدير بالملاحظة ان القسم الاكبر من قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي كان موجودا انداك في الجزائر . سواء منهم النواب الذين اعتقلوا بعد عقد الاتفاق السوفياتي ـ الالماني في اواخر عام ١٩٣٩ ثم نفوا الى الجنوب الجزائري ، او الزعماء الذين عادوا من موسكو الى الجزائر بعد دخول الجيش الاميركي واستلام ديغول الحكم فيها في عهد الكفاح ضد الاحتلال النازي

على الاحزاب الاخرى وتوجيه الاتهامات « المتطرفة ») .

وفى تلك الاونة ، قام فى الجزائر تجمع وطني واسع هو تجمع « اصدقاء البيان والحرية ». وقد لعب هـذا التجمع دورا كبيرا اذ ضم ، اعتبارا من سنة ١٩٤٤ ، انصار فرحات عباس وحزب الشعب الجزائري ورابطة العلماء والمستقلين (اي جميع الاحزاب والهيئات ما عدا الحزب الشيوعي) . واصدر جريدة باللغة الفرنسية اسمها « المساواة » . وعقد فى اذار ١٩٤٥ مؤتمرا وطنيا أسفر عن فوز الخط الوطني الثوري (اي خط حزب الشعب الجزائري) .

وشهدت الحركة الوطنية نهوضا سريعا فى الاشهر الاخيرة من الحرب العالمية .

لقد لعبت الحرب دورا كبيرا فى هذا النهوض . ان هزيمة فرنسا وتضعضعها ، والصراع بين زمر الاستعمار الفرنسي المختلفة ،والتنافس الاميركي ـالفرنسي، ذلك كله كشف عن التصدع العميق الذي اصاب ركائز الاستعمار الفرنسي . لقد وجهت الحرب طعنة اليمة لجبروت فرنسا .

ونهضت الحركة الوطنية في معظم البلدان الاسيوية والافريقية وخاصة فى الشرق العربي . وكان قيام الجامعة العربية يعكس ـ الى حد ما ـ طموح العرب الى الوحدة والاستقلال ، وقد لعب دورا كبيرا فى نهوض الحركة الوطنية الجزائرية التى اخذت تتجه نحو الثوره .

فما هو الموقف الذي اتخذه الحزب الشيوعي الفرنسي من تجمع اصدقاء البيان والحرية . وماهو الموقف الذي اتخذه من

الثورة الوطنية الجزائرية ومن المجزرة الاستعمارية الفرنسية فـي ايـار ١٩٤٥ ؟

قبل التطرق الى هذا الموضوع ، وكي نفهم حقيقـة الموقف في الجزائر في تلك الاونة ، نرى من المفيـد ان نطلع القراء على ما جاء حول هذا الموضوع بالذات في المراجع الشيوعيـة الحديثة . وهدفنا من ذلك ان نكون فكـرة فكرة صحيحة عن مجزرة ايار ١٩٤٥ ، وعن تجمع أصدقاء ألبيان والحرية ، انطلاقا من هذه المراجع الشيوعيـة وبالاعتماد على ما يعترف به ألان الحزبان الشيوعيـان الفرنسي والجزائري.

اليكم اولا ما ورد فى كتاب مرسيل اغرتو الصـادر عام ١٩٥٧ أي بعد المجزرة الرهيبة باثني عشر عاما .

« بالرغم من **بعض** التقدم الذي تحقق على ذلـك الشكل ، فأن تلك الفترة ستبقى **صفحة مظلمة** من تاريخ الجزائر بسبب **ألحوادث الخطيرة** التى وقعت فى ولايـة قسنطينة (ايار ١٩٤٥) . لقد ساهم الشعب ألجزائـري في أنهيار الفاشستية الالمانية والايطالية بمشاركته فى القتال في ساحات كثيرة . وأخذ بعين الجد وعود الحلفاء بوضـع حد للاستعباد الاستعماري بعد ألنصر ، فبدأ يعبر عـن مطامحه بقوة . وقامت فى الجزائر منظمـات سياسيـة جديدة اخذت فى ألنمو وادخلت فى برنامجها تحت ضغط الجماهير مطاليب ما زالت **غامضة** ، ولكن كان لها طابـع قومي واضح.

وقد ولد هذا التطور قلقا شديدا فى اوساط **كبـار المستوطنين وجميع الذين ... كانوا أنصارا عنيدين لبقاء الوصاية الاستعمارية التي تثقل كاهل الجزائر .** وقد اختار هؤلاء اللحظة ألتى كان فيها ألشعب الجزائري يعبر بقـوة

عن ارادته بمناسبة يوم النصر (٨ ايار ١٩٤٥) وقد حولت اعمال شعبية جماهيرية الى حوادث دامية اتخذت احيانا طابع حقد عرقي، وذلك بواسطة **أستفزازات وافعال الادارة** . وهكذا أوجدوا ، حسب طريقة معروفة جيدا ومألوفة في الماضي، ذريعة **لقمع رهيب ، اشترك فيه الى جانب قطعات الجيش ألمستوطنون العنصريون والبيتينيون ألذين كانوا ينتظمون بشكل ((مليس))** .

ان كبار ألمستوطنين المستعمرين هم ألذين اوحوابهذه المجزرة ألواسعة . وكان غرضهم احداث ((مذبحةنموذجية)) عقدوا عليها امالهم في تحطيم نهوض الحركة الوطنية الجزائرية ...

ان **فظائع القمع** بقيت محفورة في ذاكرة الجزائريين . لقد قام الطراد دوغي ــ تروين بقصف الساحل . ونظمت **مطاردة وحشية ضد السكان العزل** . وتعاقبت **حوادث الاعدام بدون محاكمات وعمليات احراق القرى** ... وتقدر حصيلة هذه المأساة **بأربعين الف قتيل** . (المرجع المذكور ص ١٣٥ ــ ١٣٦) .

هذا ما يقوله ألحزب الشيوعي الفرنسي فيسنة١٩٥٧!. ولا ريب ان هذا ألكلام يتضمن عددا من ألمغالطات :

اولا ــ ما معنى « بعض التقدم » ؟.. لم يعد مرسوم ٧ اذار ١٩٤٤ ــ فى نظرالشيوعيين ــ « تقدما هائلا ، وخطوة عظيمة الى ألامام » . ولكنه ما زال فى نظرهم خطوة تقدمية على كل حال !!

ثانيا ــ ما معنى « تلميح » اغرتو بأن مطاليب الحركة الوطنية كانت « غامضة » ؟ لقد كانت الحركة الوطنية تطالب بالاستقلال . فى حين ان مرسيل اغرتو ــ حسب

الخطة التي درج عليها حزبه ـ يفضل التحدث عن « الطابع القومي ». فأين الوضوح واين الغموض ؟

ثالثا ـ ما زال مرسيل أغرتو واسياده يرفضون فكرة حدوث ثورة وطنية رفضا قاطعا . انهم يرفضون حق الشعب الجزائري في الثورة من اجل الاستقلال . وكل ما يمكنهم ان يعترفوا به هو ان هذا الشعب عبر عن مطامحه وعن ارادته بقوة ...

ولكن اذا صرفنا النظر عن هذه المغالطات ، يمكننا القول ان مرسيل قد كشف عن حقائق أساسية ، فالنص الذي اوردناه هو شهادة من الحزب الشيوعي الفرنسي عن فظاعة المجزرة وهوية المسؤولين عنها : كبار المستوطنين ، أنصار الاستعمار العنيدون ، قطعات الجيش الفرنسي ، المليس العنصري...

أليكم الان شهادة الحزب الشيوعي الجزائري في عام ١٩٥٨ ، اي بعد حدوث المجزرة بثلاثة عشر عاما .

« بعد نزول القوات الحليفة عام ١٩٤٢ ، **تجسدت الحركة الوطنية الجزائرية بشكل خاص في تجمع « أصدقاء البيان والحرية » الجبار . وأن المحن المشتركة التي وقعت في شهري أيار وحزيران ١٩٤٥ قد عززت التلاحم القومي للجزائريين ...** » . (من كراس « محاولة عن الامة الجزائرية ») (١)

هذا يعني بالطبع ان تجمع اصدقاء البيان والحرية

١ ـ صدر هذا الكراس في العام الماضي . وارفق بالعدد الثاني من مجلة «قضايا السلم والاشتراكية» الصادرة عن الاحزاب الشيوعية في براغ . ولسنا هنا في مجال انتقاد ما ورد في هذا الكراس من أضاليل ، بل غرضنا ان نستشهد به لمعرفة حقيقة الموقف في ١٩٤٥ كما يعترف بها الان الحزب الشيوعي الجزائري نفسه .

كان قوة شعبية جبارة وتجسيدا للحركة الوطنية الجزائرية. اما حوادث أيار ١٩٤٥ فهي محنة مشتركة للشعب الجزائري والمسؤول عنها هو الاستعمار الفاشم .

تلك حقائق بديهية واضحة وضوح الشمس فى رائعة النهار . والحزبان الشيوعيان الفرنسي والجزائري يعترفان بها ...

لقد كان ايار ١٩٤٥ ، بالنسبة للشعب الفرنسي يمثل ألحرية بكل معناها . عاشه الفرنسيون فى نشوة ألانتصار على ألمحتلين الاجانب . اما بالنسبة لشعب الجزائر فله معنى اخر .. انه شهر الذل والاستعباد والقمع الوحشي ، ألشهر الذي ارتكبت فيه جريمة من افظع جرائم ألاستعمار فى جميع العصور .

فماذا كان موقف الحزب الشيوعي من هذه الجريمة حين وقوعها ؟

لنتصفح مجموعة جريدة « الاومانيته » الصادرة بعد ألمجزرة مباشرة ، نجد فيها الجواب !

فى ١٢ ايار ، كشفت « الاومانيته » عن وقوع « اضطرابات » فى الجزائر ,خاصة فى صطيف (تماما كما تتحدث اي جريدة أستعمارية) . واشارت باسلوبها المعهود القائم على اللف والدوران الى « دور بعض العناصر الهدامة فى صفوف السكان الجزائريين ... أن ألسكان الجائعين قد دفعوا الى أعمال العنف من قبل عناصر هدامة تعرفهم الادارة جيدا » .

اذن : ليس هنالك ثورة وطنية . ولا يجوز لشعب الجزائر ان يفكر بالثورة والاستقلال .

وليس هنالك مجزرة رهيبة تفوق كل ما اقترفه الهتلريون من جرائم فى فرنسا .. كلا .. كلا .. بل سكان جائعون وعناصر هدم وتخريب . والحكومة تعرف هؤلاء الهدامون جيدا وهي مقصرة بحقهم .

ذلك هو رد الفعل الاول لجريدة الحزب الشيوعي الفرنسي التى تحمل اسم « الانسانية » .

وفى ١٣ ايار ، نشرت الصحف بيان حاكم الجزائر العام ، ويلقي البيان مسؤولية الحوادث على « عناصر هتلرية فى وحيها واساليبها » . فتعمد الاومانيته الى « الدفاع » عن العرب ـ جزئيا ـ ، وتعلن اسفها لالقاء « كل » المسؤولية على عاتقهم . (وكأنها تقول ان قسما من المسؤولية يقع على عاتقهم . فمن اين يحق لهم التمرد على النير الاستعماري ؟) . ثم تعقب :

« اما ان بينهم بعض الهتلريين ، فهذا من الامور البديهية لا سيما وان أحد الزعماء القوميين المزيفين كان فى المانيا أبان التسليم الهتلري وقد وصل الان الى أحد بلدان أفريقيا الشمالية » .

هكذا فالامر واضح « بديهي » : الحركة من صنع القوميين المزيفين ، عملاء هتلر ..

لقد انتحر هتلر قبل ايام .. ولم تكن الاومانيته قد حزمت أمرها بعد على أتهام الحركة الوطنية بالعمل لمصلحة الاستعمار الاميركي . بل الافضل اتهامها بالعمل لصالح الهتلريين ، ذلك اجدى لتشويه سمعة الحركة الوطنية واثارة مشاعر الشعب الفرنسي ضدها ...

وفى ١٥ ايار ، ارتفعت لهجة الاومانيته ، فأخذت تكرر مطلبها بشدة :

« العملاء الهدامون تعرفهم الادارة الجزائرية جيدا ».

الادارة الجزائرية أي السلطة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر . والاومانيته تطالب هذه السلطة بالقاء القبض على « العملاء الهدامين » كي يخلو الميدان لحزبها .

وفى ١٦ ايار ، نشرت الصحافة كتابا من وزارة الداخلية يلقي المسؤولية على أصدقاء البيان والحرية .

فما عسى يكون موقف الاومانيته ؟ هل تدافع عن أصدقاء البيان والحرية ، « هذا التجمع الجبار الذي جسد الحركة الوطنية الجزائرية » ؟؟

كلا ! فقد علقت الجريدة على بلاغ وزارة الداخلية الفرنسية بما يلي:

« ان البلاغ يتهم أصدقاء البيان والحرية بالتحريض على التمرد . فاذا قبلنا بصحة هذا التأكيد ، لماذا أذن سمحت الحكومة العامة بصدور جريدة هذه المنظمة « المساواة » - وأمامنا عددها الصادر بتاريخ ٤ ايار ! - هذا يعني ان الحاكم يريد ان يكون ثمة دعوة للتمرد ! »

الاومانيته تشك فى صحة اتهام وزارة الداخلية بعض الشك . ولكن هناك اشياء واشياء لا تشك فيها : الثورة الوطنية « تمرد » وجريمة . ولا يجوز السماح بصدور جريدة غير الصحف الداعية الى « الاتحاد الفرنسي » .

وفى ١٩ ايار ، أخذت الاومانيته تدافع مرة اخرى عن السكان المسلمين (اذ لا يمكن ان يفكر هؤلاء المساكين بالعصيان والتمرد على ممدنيهم !) ، او بالاصح ، قصرت دفاعها على « مسلمي القرى » . فكتبت :

« ان مسلمي القرى لم يشتركوا فى افعال حفنة من القتلة السفاكين المأجورين .. »

نعم لا ثورة وطنية ولا مجزرة استعمارية ... وانما افعال حفنة من ألقتلة السفاكين ألمأجورين (من «مسلمي المدن » لان « مسلمي القرى » هادئون مسالمون يؤمنون بقلب فرنسا العظيم .)

وبعد هذا الاستنكار ـ المبدئي جدا والاممي جدأ ـ لاعمال ألقتلة المأجورين ، تقترح الاومانيته « حلا عادلا » فتطالب المسؤولين ..

« المطلوب انزال ألعقاب المستحق بالقتلة الهتلريين ألذين اشتركوا فى الحوادث وبالزعماء القوميين ألذين حاولوا عمدا خدع الجماهير المسلمة ، خادمين بذلك مصالح ألاسياد ألمئة فى سعيهم لايجاد القطيعة بين **ألسكان** الجزائريين و **شعب** فرنسا » .

أنزال العقاب المستحق بالوطنيين . ضرب الحركة الوطنية . اغلاق الصحف . اعتقال الزعماء . اعدام المناضلين ...

هذا كله من أجل المحافظة على « الوحدة » بين «شعب» فرنسا و « سكان » الجزائر . شعب فرنسا الذي يشكل امة متكونة تامة المعالم ، وسكان الجزائر ، هذا ألخليط العجيب من عناصر مختلفة والذي لم ينضج للاستقلال ... وهؤلاء السكان لا يطالبون بالاستقلال اصلا ولا يعملون له ، لانهم قوم هادئون يحترمون السلطة الفرنسية كرها بالاقطاعيين ويقدرون واقعهم القومي « الآخذ في النشوء والتكون » .

ذلك هو ألقرار الرهيب الذي اصدره الحزب

الشيوعي الفرنسي فى خمسة أسطر :

المناضلون الوطنيون هم قتلة هتلريون . وقـــادة الشعب الجزائري هم زعماء قوميون مزيفون حاولوا خــدع الجماهيـــر .

وقضية الاستقلال ليس لها وجود . انما يجب منـع ألقطيعة بين سكان الجزائر وشعب فرنسا . ذلـــك لان الاستقلال ـ « القطيعة » ـ يخدم مصالح الاقطاعيين .

وفى ٢٩ ايار ، نقلت الاومانيته خبر أغتيال الرفيـق حج علي محمد سعيد ، سكرتير منظمة الحزب الشيوعـي في حي القصبة بمدينة الجزائر ، وعلقت على النبأ بما يلي:

« بما ان هذا الرفيق قد وجد حاملا وثائق هامـــة تعود لجماعة اصدقاء البيان ، تلك ألمنظمة القومية المزيفـة ألتى شارك قتلتها السفاكون فى حوادث صطيف وغيرها .. فأن الحادث ليس الا عملا استفزازيا مفتعلا . »

اذن : جمعية اصدقاء البيان والحرية لم تكن تجسيدا للحركة ألوطنية بل منظمة قومية مزيفة تضم حفنة منألقتلة ألسفاكين يقودهم نفر من ألزعماء الهتلريين .. وهي التى دبرت ونفذت حوادث صطيف وغيرها .. ولا يمكن ان يشترك احد مسؤولي ألحزب الشيوعي مع هذه ألمنظمـــة في أي عمل او ان يحمل وثائق تعود لها .. وبما ان هـــذا المسؤول قد وجـد حاملا مثل هــذه الوثائق الاجـرامية ، فالقضية اذن مدبرة ضد الحزب لتشويه سمعته !

نحن نجهل حقيقة الحادث ! هل هو مدبر فعلا ضـــد الحزب ومن قبلمن ولاي غرض ؟ ام ان ألرفيق حج محمـد سعيد شارك فى العمل الوطني ألثوري بدافع من شعـوره الوطني وبمبادهة منه وضد ارادة قيادته ، فـــاراد

الحزب « تبرئته من هذه التهمة » والتنصل منها ؟

ليس لذلك اهمية . والمهم أن الاومانيته تؤكد على طول الخط عداءها للحركة الوطنية في الجزائر ، وعدم وجود اي علاقة بين حزبها وبين القوى الوطنية .

وفي ٣١ ايار ، كتبت جريدة الحزب الشيوعي الفرنسي تحت عنوان « اعتقالات في افريقيا الشمالية » :

« في الانباء الواردة انه ، على اثر حوادث ولاية قسنطينة ، تم اعتقال **فرحات عباس ،** عضو الجمعية العامة ورئيس لجنة اصدقاء البيان والحرية . **كما اتخذ** اجراء مماثل بحق **الدكتور سعدان ،** عضو اللجنة التنفيذية في نفس المنظمة . **من الجيد اتخاذ الاجراءات ضد زعماء هذه المؤسسة القومية المزيفة التي اشترك اعضاؤها في حوادث صطيف المفجعة .** ولكن هذا لا يكفي يجب عمل الشيء الكثير ... »

كان الدكتور سعدان مصابا بسل خطير (١) وكبار المستوطنين يطلبون رأسه ورأس فرحات عباس . فوافق الحزب الشيوعي الفرنسي (وشريكه في الجريمة الحزب الشيوعي الجزائري) على الاعتقال ، واوجد له المبررات وطلب المزيد ...

في العدد نفسه – ٣١ ايار ١٩٤٥ – ، نقلت جريدة الاومانيته اخبار وكالات الانباء عن العدوان الفرنسي الغاشم ضد المدن السورية . وقد جاء في هذه الانباء ان « الدرك السوري والسكان قاموا بمهاجمة الحامية الفرنسية » .

وبالطبع ان جريدة الامانيته لا تشرح الموقف على حقيقته ولا تروي شيئا عن جرائم الجيش الفرنسي ولا تنبه قراءها الى ان سورية بلد مستقل اعترفت فرنسا باستقلاله وان

١ – أودى بحياته بعد فترة قصيرة .

شعب سورية يطالب بجلاء قوات الاحتلال عن ارضه وان هذا من ابسط حقوقه وان واجب فرنسا الرحيل فـورا ودون مقـابل ..

ولكن ما هو التعليل الذي تقدمه هذه الجريدة لقرائها ؟ « الاخبار الاتية من مصادر مختلفة والتي تتفق فيما بينها (!) تسمح لنا بأن نؤكد (!!) ان اتباع دوريو العاملين في اوساط مختلفة ومن جهات مختلفة قد لعبوا دورا بالغ الشأن في هذه الحوادث المؤسفة » !!!

نعم ! اتباع دوريو ... هتلـر في الجزائـر ودوريو في سورية ...

هذا هو التعليل الذي تقدمه الاومانيته « للطبقة العاملة » هذا هو موقف الحزب الشيوعي الفرنسي « صديق العرب الكبير » (١) !

انجريدة هذا الحزب لم تسمع بالعدوان الفرنسي ولا بمقدمات هذا العدوان . وكذلك يحز في نفسها ان «يتمرد » الشعب السوري ضد « قلب الثورة الفرنسيـة العظيمـة » ، وان يعمل « للقطيعة » مع « شعب فـرنسـا العظيم » ... وكل ما تراه في الموضوع نشـاط اتباع دوريو .

فمن هو دوريو ؟

كان دوريو عضوا في قيادة الحزب الشيوعي الفرنسـي وانفصل عنه في عام ١٩٣٥ . ثم أسس حزبا تعاون مع النازيين

---

١ ـ عنوان الصفحة الاولى من جريدة صوت الشعب الصادرة عن الحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني ، العدد ١٢٨٩ ، تاريخ ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٦ : « الحزب الشيوعي الفرنسي صديق العرب ٤٠ بالمئة من مجموع الاصوات » . ـ الحقيقة انه نال ٣٠ بالمئة فقط ولكن تحمس خالد بكداش للصديق الكبير لا يبالي بالحقيقة .

فأعدم على يد المقاومة الوطنية الفرنسية في أواخر الحرب . فكان مكروها لدى الشعب الفرنسي . نظرته اليه لا تختلف عن نظرة شعب الاقليم الشمالي الى خالد بكداش مثلا . . . .

فألقت جريدة الحزب الشيوعي المسؤولية على « اتباعه الذين عملوا في اوساط مختلفة ومن جهات مختلفة »

ولكن أي اتباع ؟ بامكاننا ان نؤكد للامانيته ــ دون الاعتماد على اجماع المصادر المختلفة المزعوم ــ انه لم يكن لدوريو اتباع بين السوريين ، وان السوريين لم يسمعوا بدوريو ولا يهمهم دوريو كثيرا انما الذي يهمهم هو ــ اوليفا روجيه . .

الجنرال اوليفا ــ روجيه ، الحاكم بأمره وامر اسياده في دمشق ، والذي صمم على « تأديب السوريين وتمدينهم » فأصدر الاوامر الى جنوده بانتهاك حرمة البرلمان وضرب دمشق بالقنابل وتقتيل الرجال والنساء والاطفال . .

الجنرال اوليفا ــ روجيه صديق الحزب الشيوعي الفرنسي في عهد حكومة ديغول وتوريز . . .

الجنرال اوليفا ــ روجيه الذي نعتته جريدة الاومانيته ذاتها عند وفاته في عام ١٩٥٠ باعتباره سكرتير منظمة انصار السلام (!) في محافظة بيرينه الشرقية انذاك (١)

---

١ ــ هذا هو السبب في ان جريدة صوت الشعب قد سكتت في شهر حزيران ١٩٤٥ ، عن مسؤولية اوليفا ــ روجيه ، واكتفت بمهاجمة المفوض السامي في بيروت الجنرال بينه . كما ان خالد بكداش ، في مقال كتبه في نفس الجريدة بعد عام ونصف ــ صوت الشعب ، عدد ١٢٨٩ ، تاريخ ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٦ ــ سكت عن المجرمين الاثنين ، مجرم بيروت ومجرم دمشق ، واكتفى بمهاجمة « بقايا فيشي » ؟!

ليس المسؤول دوريو واتباعه الوهميين . بل اوليفا روجيه واتباعه واسياده الحقيقيون : حكومـة «التجمـع الوطنـي » في فرنسا ، حكومة الديغوليـين والشيوعيـين والاشتراكيين ، والاستعمار الفرنسي وكل من شاركه وساعده وساهم في طمس جرائمه .

وعندما يلقي الحزب الشيوعي الفرنسي التهمة علـى « اتباع دوريو » ، فان غرضه من ذلك تبرئة حكومة باريـس وتبرئة وزرائه في هذه الحكومة ، تبرئة جهاز الاستعمـار الفرنسي ككل وتبرئة رجاله واصدقائه في هذا الجهاز .

وهكذا فان اقل ما يجب قوله عن سلوك الحزب الشيوعي الفرنسي انه وقف بكل قواه ضد تحرر الجزائر وضد تحرر سورية ، الى جانب الاستعمار الفرنسي . وقد تجلى هـذا السلوك بشكل خاص في الموقف المخزي من المجزرة الاستعمارية في الجزائر ومن العدوان الاستعماري على سورية .

كما انعكس ايضا في خيانة الحزب الشيوعي الجزائري وخيانة الحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني لقضية الاستقلال.

كنا قد كشفنا عن هوية الجنرال اوليفا روجيه للمرة الاولى في جريدة الجماهير الدمشقية عدد ٣٠ تموز ١٩٥٩ . وبعد عشرة ايام فقط ، نشرت مجلة لا ريفو دو ليبان ، الفرنسية الاستعمارية الصادرة في بيروت ، مقالا « تاريخيا » عن اوليفا روجيه هذا ، عملت فيه على تبييض صفحة الجنرال السفاح ، فقالت انه كان صديقا للوطنيين ويعطف على الشعب اللبناني .

نحن لم نكن نعلم ان التفاهم بين فرسان الامية البروليتارية وفرسان القومية اللبنانية والقومية السورية قد بلغ هذا الحد . فهنيئا لهم جميعا !

الفصل الثالث

فترة ما بعد الحرب العالمية

١٩٤٦ ـ ١٩٥٤

واصلت فرنسا ، بعد مجازر صطيف سياستها التقليدية التي تجمع القمع الوحشي مع الخداع والتضليل .

والواقع ان الجمهورية الرابعة التي قامت منذ ايامها الاولى على دماء الشعوب لم تنخدع بالانتصار الموقت الذي احرزته في ايار ١٩٤٥ على اشلاء عشرات الالوف من الشهداء لقد كانت تعلم ان الحركة الوطنية الجزائرية ستنهض لتهدد من جديد النظام الاستعماري . لذلك رأت من الضروري القيام ببعض « التنازلات » و « الاصلاحات » املا منها في تضليل قسم من الشعب وتفكيك القوى الوطنية .

وعلى هذا الاساس ، اقرت الجمعية الوطنية الفرنسية في عام ١٩٤٧ نظاما جديدا للجزائر . وبموجب هذا النظام ، تصبح الجزائر « مجموعة من المحافظات تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي » . ويمنح القانون الجديد « المساواة الفعلية لجميع المواطنين

الفرنسيين في الجزائر دون ما تمييز في الاصل والعرق واللغة والدين » ، ويعلن الغاء نظام « المراسيم » ، ويتعهد ب « تأمين استقلال الدين الاسلامي عن الدولة » ، و « تنظيم تعليم اللغة العربية في كافة الدرجات » . ولم يكن هذا كله بالطبع سوى وعود مخادعة غرضها ايهام الشعب بحسن نوايا فرنسا الاستعمارية .

وقد نص القانون الجديد على قيام « جمعية جزائرية » تنتخب بالتصويت العام . الا ان التصويت العام المزعوم كان يتم على اساس هيأتين انتخابيتين مختلفتين ، الاولى تضم المستوطنين الاوروبيين ونفرا ضئيلا من الجزائريين ، والثانية تضم الجماهير العربية . ولكل من الهيأتين عدد متساو من المقاعد في البرلمان الفرنسي وفي الجمعية الجزائرية والمجالس العامة. وتملك الهيئة الاولى ثلاثة اخماس المقاعد في مجالس البلديات العاملة . هذا مع العلم بان الاوروبيين يشكلون اقل من عشر السكان . والانكى من ذلك ان جميع الانتخابات التي حصلت في الجزائر في ظل هذا النظام « الجديد » انتخابات مزيفة جرت في جو من الارهاب .. حتى ضرب المثل بهذه الانتخابات فاصبحت عبارة « انتخابات على الطريقة الجزائرية » عبارة مألوفة خارج حدود الامبراطورية الفرنسية ، معناها انتخابات مصطنعة مفبركة من قبل السلطة تقوم على التهديد والقمع والرشوة .

والشعار الذي غطى هذه السياسة « الجديدة » وكان عنوانا وستارا لها ، هو شعار « الاتحاد الفرنسي » وغرض هذه السياسة ومغزى هذا الشعار ابقاء المستعمرات الفرنسية في ظل الاستعمار الفرنسي ، تحت عنوان

جديد حل في مفردات الاستعمار ومفكريه محل «الامبراطورية الفرنسية » .

والواقع ان هذه السياسة لم تنطل على شعوب المستعمرات التي تابعت نضالها بلا كلل . ولم تنطل على شعب الجزائر الذي قابلها بالسخط والازدراء . ولم يكن همه نيل « المساواة » وحقوق المواطن الفرنسي في ظل الدولة الفرنسية ، بل كان مطلبه الاستقلال عن فرنسا . ان الجزائريين لا يناضلون من اجل ان يصبحوا فرنسيين، انما يناضلون كي يكونوا انفسهم . ولهذا الهدف عملت « حركة انتصار الحريات الديمقراطية » بينما عمل الجهاز السري لحزب الشعب الجزائري على تحضير الثورة الوطنية .

●●●

فماذا كان موقف الحزب الشيوعي الفرنسي ، «حزب موريس توريز» ، « حزب الطبقة العاملة » كما يقولون ؟ هل عارض الاستعمار ؟ هل فضح خرافة الاتحاد الفرنسي وحذر الشعب الجزائري والطبقة العاملة الفرنسية من هذه الخدعة الحقيرة ؟ هل اعلن ثقته بالشعب الجزائري واكد تأييده لاستقلال الجزائر ؟

لنطالع ما كتبه ليون فيكس في مجلة « دفاتر الشيوعية » ـ وهي المجلة النظرية الصادرة عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي ـ عدد ايلول ١٩٤٧ ، تحت عنوان « بعض الاراء حول المسألة الجزائرية » .
يتحدث ليون فيكس عن القومية العربية ، فيتهمها بالرجعية والتوسعية ، مطلقا عليها تعبير « بان ارابيسم » ؛ وهو تعبير استعماري معروف يقصد منه اتهام القومية

العربية ـ وهي قومية مظلومة مضطهدة تعمل من اجل الحرية والوحدة ـ بالنزعة التوسعية والعدوانية ، تماما كتعبير « بان جرمانيسم » بالنسبة للتوسع الالماني في البلدان المجاورة ، و « بان سلافيسم » للتوسع الروسي القيصري في البلاد السلافية ، و « بان اميركانيسم » لتوسع الولايات المتحدة في القارة الاميركية .

أذن يعلن ليون فيكس معارضة حزبه « للقومية العربية الرجعية » .. وللانكلوسكسون (١) وبعد ذلك يؤكد أن أستقلال الجزائر ليس مستحبا ولا محتوما ـ « بخلاف ما يزعمه البعض » ـ وهو حل خاطىء وفكرة مضرة يرفضها الشيوعيون « الامناء لمبادئهم ولشعوبهم » الخ ...

« أن فكرة الاستقلال المباشر للجزائر التي يدعو اليها حزب الشعب الجزائري تقود الى أوخم العواقب . ان وضع ألجزائر الحالي هذا البلد المستعمر الذي أبقي اقتصاده في حالة تاخر ، سينقلها فورا تحت سطوة التروستات الاميركية

الشيوعيون لا يمكنهم ان يؤيدوا ذلك الجزء من الحركة الوطنية التي ينادي لهذه البلاد بالاستقلال المباشر ، أذ أن هذه الدعوة لا تخدم لا مصالح الجزائر ولا مصالح فرنسا . »

« ان استقلال الجزائر سيكون في ان واحد خدعة وتدعيما لركائز الاستعمار في الجزائر .. » ـ اما الاتحاد الفرنسي ـ « فيعطي حاليا لشعوب ما وراء البحار الامكانية الوحيدة للسير في طريق كسب الحرية والديمقراطية»

---

١ ـ حل الانكلو سكسون في مفردات الحزب الشيوعي الفرنسي ، بعد الحرب العالمية ، محل الهتلريين

اذن . ليس « الاتحاد الفرنسي » خدعة وتدعيما لركائز الاستعمار في الجزائر .

انما الاستقلال خدعة وتدعيم لركائز الاستعمار في الجزائر .

وليس الاستعمار الاميركي شريكا للاستعمار الفرنسي ـ قبل وفوق كونه منافسا له ـ
أنما الاستعمار الاميركي خصم « للديمقراطية الفرنسية »

ويجب على الجزائر ان تبقى تحت رحمة « فرنسا الديمقراطية » كي لا تقع فريسة لاميركا الاستعمارية .

كان الحزب الشيوعي الفرنسي حتى عام ١٩٤٧ مشتركا في الحكومة الفرنسية . وكان له انصار واتباع في اجهزة الحكم وفي اجهزة الطغيان الاستعماري ـ ولم يكن الجنرال اوليفا روجيه آلا واحدا من هؤلاء الانصار .. وبما ان هذا الحزب الشيوعي ملوث بميكروب الشوفينية الفتاك ومصاب بالتهوس القومي ـ قلب الثورة الفرنسية العظيمة ، رسالة فرنسا التمدينية في العالم ، سياسة العظمة الفرنسية ـ وبما انه خاضع لسياسة الكتل والمعسكرات ولا يرى قضية المستعمرات الا من هذه الزاوية الضيقة ، فلذلك ما كان يؤمن بالشعب الجزائري وما كان يريد تحرر هذا الشعب . انما عمل ضده بكل ما اوتي من قوة ، تحت ستار « الاممية البروليتارية » التي اصبحت عنده سياسة « اخضاع الجزء للكل » .

فبموجب هذا المبدأ يجب أن تبقى المستعمرات الفرنسية ضمن الاتحاد الفرنسي .
وبموجب هذا المبدأ يجب على الشعب الجزائري ان يكف عن النضال في سبيل الحرية والاستقلال وان ينصرف الى « النضال ضد حلف الاطلسي » و « ضد القنبلة

الذرية » و « من اجل السلم العالمي » و « الصداقة الجزائرية ـ الفرنسية ـ السوفييتية »

بموجب هذا المبدأ ، وافق الاتحاد السوفياتي ووافقت الحركة الشيوعية الدولية على اغتصاب لواء الاسكندرون العربي .

وبموجب هذا المبدأ ، وافق الاتحاد السوفياتي ووافقت الحركة الشيوعية الدولية على اغتصاب فلسطين العربية .

وبموجب هذا المبدأ ايضا ، وافق الحزب الشيوعي الفرنسي والحزبان الشيوعيان الجزائري والسوري على فرنسة الجزائر العربية .

باسم الاخاء بين العرب والاتراك ، ساعدوا على انتزاع لواء الاسكندرون من العرب وتسليمه للاتراك .

وباسم الاخاء بين العرب واليهود ، ساعدوا على انتزاع فلسطين من العرب وتسليمها لليهود .

وباسم الاخاء (١) بين العرب والفرنسيين ساعدوا على انتزاع الجزائر من العرب وتسليمها للفرنسيين .

باسم الاممية البروليتارية ، ايدوا القومية التركية الغاصبة والقومية الصهيونية الدخيلة المصطنعة والقومية الفرنسية الظالمة ضد القومية العربية المظلومة .

باسم الاممية البروليتارية، ايدوا القوميات الاستعمارية ضد القومية التحررية .

---

١ ـ « الاخاء » المزعوم هو ايضا احد شعارات غي موليه وديغول والجيش الفرنسي في الجزائر

فاقل ما يمكن قوله بهذا الصدد انها اممية من طرف واحد ولصالح جهة واحدة ، أممية من المستعمر ـ بفتح الميم ـ لصالح المستعمر ـ بكسر الميم ـ ، اممية لصالح الاستعمار والصهيونية ، لصالح قوى الشر والطغيان .

ثم أخرج الحزب الشيوعي من الحكم في سنة ١٩٤٧ .

لم ينتقل موريس توريز الى قصر الرئاسة . بل خرج من مجلس الوزراء . ان استبساله في الدفاع عن مصالح الاستعمار الفرنسي لم ينفعه في شيء .

ولكن رغم هذا التحول ، لم ييأس توريز ولم يخفف من غلوائه القومية الشوفينية . وظل يدعو للاتحاد الفرنسي « للاتحاد الفرنسي الحقيقي » ، يدعو « لانقاذ الاتحاد الفرنسي » ، و« تحقيق رسالة فرنسا ومجدها » ...

واستمرت حملتهم المسعورة على العرب والقومية العربية . فايدوا قيام اسرائيل بحماس منقطع النظير . ودعوا الطبقة العاملة في ميناء مرسيليا الى شحن الاسلحة للدولة الصهيونية . وحملوا على العمال الجزائريين لانهم رفضوا تلبية دعوتهم . واشادت جريدة الاومانيته بدولة اسرائيل . واثنى مراسلوها على عصابات الهاغانه وشترن والبالماخ . وشوهوا ابسط الحقائق، زاعمين ان بريطانيا تقف الى جانب العرب ، ساعين الى تضليل الرأي العام العالمي . ثم سكتوا عن مجازر دير ياسين وقبيه .

وكذلك هاجموا الحركة الوطنية في المغرب وتونس . وأخذوا على سياسة الحكومة الفرنسية الاستعمارية انها تؤدي الى « تغذية الروح القومية » ! ـ بدلا من ان تدعم « الحركات الديمقراطية » ـ اي الشيوعية ـ (١) !

١ـ المرجع نفسه ص ١٥٥

ومن الجدير بالذكر ان الحزب الشيوعي الجزائري قد سار على النهج ذاته . فاغفل شعار الاستقلال واكتفى بالنضال « من اجل السلم » ومن اجل « مطالب الشعب الاقتصادية » .

وقد عبر عن هذه السياسة بوضوح السكرتير العام للحزب الشيوعي الجزائري وربيب موريس توريز ، العربي بوهالي ، حين قال في محاضرة القاها بتاريخ ٢٩ نيسان ١٩٥٠ :

« ان النضال من اجل السلم هو اقصر طريق واقلها كلفة نحو التحرر .. وبطبيعة الحال ، نحن نهتم ايضا بمطاليب الجماهير من اجل تحسين معيشتها » .

فالاستقلال ليس مطلبا للجماهير . وكلمة « التحرر » لم يرد ذكرها عند بوهالي الا لتغطية ما جاء قبلها وبعدها (١)

وكيف يمكنهم ان يناضلوا من اجل الاستقلال ، ما داموا يعتقدون بنظرية « الامة الجزائرية الاخذة في النشوء والتكون بمساعدة الجمهورية الفرنسية » ؟

---

١ ـ خصص رينو دي جرفنيل في كتابه الانف الذكر صفحة واحدة للجزائر ! وانهى الصفحة بقوله :« هناك حركتان قوميتان تطالبان بالاستقلال : حركة انتصار الحريات الديمقراطية التابعة لمصالي الحاج وجمعية اصدقاء البيان التابعة لفرحات عباس والتي تنادي بالاستقلال في نطاق الاتحاد الفرنسي » . شكرا لجوفنيل على هذا « الايضاح» ان الحزب الشيوعي لا يطالب بالاستقلال ولا يطالب حتى بالاستقلال «في نطاق الاتحاد الفرنسي »

الم يؤكد بيان الحزب الشيوعي الجزائري الصادر في تموز ١٩٤٦ ان « هذه الوحدة ـ المصالح المشتركة ـ تؤلف اساس الامة الجزائرية الاخذة في النشوء ، الفنية بجهود جميع ابنائها ، على اختلاف اصولهم واجناسهم ، والمزيج الموفق للحضارتين الشرقية والغربية » ؟

والواقع ان موقف الحزب الشيوعي الفرنسي من قضية الجزائر والحملة المسعورة التي شنها ويشنها هذا الحزب على العرب والقومية العربية أمران متلازمان مترابطان لا يمكن الفصل بينهما .

فالقومية العربية تغذي الروح النضالية في شعوب المغرب العربي وتفتح لهم طريق النصر .. وما من انتصار احرزه عرب المشرق الا وكان له اثره الكبير عند عرب المغرب .

وبعد كيف يمكن تخليد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ما دامت الجزائر قطرا عربيا يدعمه وطن عربي باكمله؟

تلك حقيقة بديهية فهمها الاستعمار (١) ، وفهمها الحزب الشيوعي وعمل على اساسها . ان القومية العربية تتنافى مع « الاتحاد الفرنسي »

يقول هذا الحزب : الاتحاد الفرنسي هو طريق الحرية

---

١ ـ جاء في قرار الصهيونيين العموميين في فرنسا عن الجزائر ما يلي:

« ان خروج فرنسا سيفتح ابواب الجزائر للجامعة العربية التي ستقيم فيها حصنا جديدا للقومية العربية التوسعية عدوة وجود اسرائيل» ـ جريدة لوموند ٨ تشرين الاول ١٩٥٩ ـ هذا ما يفسر لنا في وقت واحد معارضة الحزب الشيوعي الفرنسي للاستقلال وعداءه للقومية العربية وتأييده لاسرائيل

والديمقراطية والاستقلال تدعيم لركائز الاستعمار ... الاستعمار تحرر والاستقلال استعمار ...

ولكن كيف يمكن ان يكون الاستقلال استعمارا ؟

ما هو هذا اللغز « الديالكتيكي » الجديد ؟

القضية في منتهى البساطة : هناك التروستات الاميركية . هناك الانكلوسكسون وعزام باشا ..

في المرحلة السابقة : الاستعمار الالماني .. هتلر وموسوليني . والان الاستعمار الانكلو ـ اميركي .

ولكن اين مكان الشعوب ، شعوب المستعمرات ، من هذا كله ؟

قبل الحرب العالمية ، يتخلون عن شعار الاستقلال ، خوفا من الاستعمار الالماني ، ويعملون على تثبيت الاستعمار الفرنسي !

وبعد الحرب العالمية ، يتخلون عن شعار الاستقلال ، خوفا من الاستعمار الاميركي ، ويعملون ايضا على تثبيت الاستعمار الفرنسي !

بحجة ان الاستعمار الفرنسي « اقل شرا» يرحبون به ضد « الشر الاكبر » ، ويرجئون الاستقلال الى ما لانهاية .. اذ ان التناقض بين الدول الاستعمارية باق ما بقي الاستعمار نفسه ولن يزول الا بزواله .

يرجئون الاستقلال الى ما لا نهاية .. او على الاقل الى ان يصبح توريز سيدا في باريس فيحكم الجزائر على يد العربي بوهالي كما حكم ستالين وبيريا ازربيجان على يد باغيروف !

ولكن كيف يجوز السكوت عن استعمار قائم لمحاربة

استعمار ممكن ؟

كيف يسكتون عن استعمار عسكري وسياسي وثقافي واقتصادي الخ.. لمحاربة استعمار اقتصادي ؟ كيف يسكتون عن جيوش الاحتلال وعن الغزو العنصري وعن المجازر الرهيبة بحجة محاربة التروستات والشركات ؟

يقول ليون فيكس ان الجزائر بلد مستعمر ابقي اقتصاده في حالة تأخر . ويستنتج من ذلك ضرورة بقاء الاستعمار !! انه يحول فرنسا وجيوشها المحتلة الى حامية للجزائر ضد التروستات !

فالاحتلال الفرنسي بنظره « اقل شرا » من الشركات الاميركية ! اليست فرنسا أمة منزلة ؟ اليست الامة الفرنسية هي الامة المثالية والانسان الفرنسي هو الانسان المثالي ؟.

حتى لو كان الاستعمار الالماني او الاميركي خطرا عسكريا قائما اوقريبا ، هل يجوز السكوت عن الاستعمار الفرنسي والاحتلال الفرنسي ؟...

. لو كان توريز واعوانه يؤمنون بحق الشعوب في تقرير مصيرها ، لو كانوا امناء للمبادىء التي ينادون بها وجعلوها اداة للتضليل ، لوجب عليهم ان يتبنوا موقفا اخر تجاه تسرب الاستعمار الاميركي ـ او غيره ـ الى بلدان المغرب العربي . ان دخول الاستعمار الاميركي يجب ان يزيد تمسكهم بمبدا الاستقلال وان يجعلهم يناضلون من اجل الاستقلال بقوى مضاعفة . لانه يشير الى ازمة الاستعمار الفرنسي وينذر بقرب زواله ، ويفسح امكانيات جديدة امام الحركة الوطنية

لقد خان توريز واعوانه الفرنسيون والجزائريون مصالح الشعب الجزائري على الدوام . ولم يكتفوا بالخيانة . بل عملوا على تبريرها بتعاليم الاشتراكية العلمية .

ونحن لسنا هنا في مجال عرض مبادىء الاشتراكية العلمية . ولكن لا بد لنا من فضح التناقض الهائل بين الاقوال والافعال ، بين المبادىء والسلوك العملي . المبادىء التي تستخدم لتضليل وتخدير الجماهير والسلوك العملي الموجه لخدمة المصالح الاستعمارية والاجنبية .

المبادىء تفرض عليهم تايد استقلال الشعوب الفوري والناجز ، ومحاربة جميع الذين يتخذون موقفا مترددا والذين يتسامحون مع اولئك المترددين (١) .

اما الحزب الشيوعي الفرنسي فيسدي النصح لشعوب المستعمرات :

ابقوا مع فرنسا . لا تنفصلوا عنها . مستقبلكم « الاتحاد الفرنسي » . انه الطريق الوحيد وليس من طريق غيره .

كان لينين يحارب كل من تسول له نفسه الابتعاد ـ ولو قليلا ـ عن الاتجاه الثوري ، والتساهل ـ ولو قليلا جدا ـ مع الاتجاه الانتهازي ، الشوفيني ـ الاستعماري (٢) .

اما الان فقد اصبح الانتهازيون الاستعماريون المتطرفون اسيادا في الحزب الشيوعي الفرنسي يدعون شعوب المستعمرات علنا الى التخلي عن النضال . واصبحت الشوفينية الاستعمارية نهجا رسميا لهذا الحزب وامثاله .

لقد نبه لينين مئات المرات الى ان عمال الامم الاستعمارية هم أيضا ملوثون بالنزعة الشوفينية

---

١ ـ ان انكار حرية الانفصال غلط من الوجهة النظرية من الفه الى يائه وهو عمليا يعني الرضوخ لشوفينيي الامم الظالمة هذا ما نعرفه ونشاهده ونحسه يوميا . (لينين : حركة التحرر الوطني في الشرق ، دار دمشق ص ١٣٣)

٢ ـ راجع المرجع نفسه ، ص ٢٨ـ ٧٣،٣٤ ـ ٧٥، ٨٥ـ ٨٨ ، ١٢٣ ـ ١٤٠

الاستعمارية (٣) ، ودعا الى محاربة هذه النزعة لتطهير العمال الاوروبيين منها كليا ، واكد ان الطريق الوحيد لهذا الهدف هو رفض سياسة الاستعمار رفضا باتا قاطعا لا يشوبه تحفظ ومهما كانت « الظروف » او « الاعتبارات » لانها لا يمكن ان تكون الا اعتبارات كاذبة ومنافقة ومعادية لمصالح جميع الشعوب (٤) .

اما الان فالحزب الشيوعي الفرنسي يتبنى النزعة العنصرية الاستعمارية ويكرسها رسميا ويسميها « اممية» ويعمل على ترسيخها وتنميتها عند العمال الفرنسيين ، ويدعو ايضا عمال المستعمرات الى تبنيها ...

لقد كان لينين يميز تمييزا دقيقا صارما بين قومية الامة الظالمة وقومية الامة المظلومة ، ويؤكد وجوب نبذ الاولى

---

٣ ـ مع نمو الاستعمار ، اصبحت البروليتاريا الاوروبية ، جزئيا في وضع لم يعد فيه عملها هو الذي يعيل المجتمع بأسره ، بل عمل اشباه العبيد في المستعمرات ولهذا السبب ، فقد نشأ في بعض البلدان اساس مادي واقتصادي لتلوث البروليتاريا بالشوفينية الاستعمارية ـ المرجع نفسه ، ص٣٠ ـ

٤ ـ « ان اشتراكي الامة الظالمة (بريطانيا ، فرنسا ، المانيا ، اليابان ، روسيا ، الولايات المتحدة الخ) الذي لا يعترف بحق الامم المظلومة في تقرير المصير (في الانفصال الحر) ولا يساند هذا الحق هو ، في الواقع ، شوفيني وليس اشتراكيا

من السخف الاعتقاد بأن من ينتمون الى الامم الظالمة ولا يؤيدون حق الامم المظلومة في تقرير مصيرها قادرون على انتهاج سياسة اشتراكية » (المرجع نفسه ، ص ٧٣ ـ ٧٤)

« الاشتراكي البريطاني الذي لا يعمل في سبيل حق ايرلنده والهند في الانفصال حالا ليس اشتراكيا واميا الا في القول بينما هو في الواقع شوفيني وتوسعي

هذا ينطبق ايضا على الاشتراكي الفرنسي الذي لا يكافح في سبيل حرية المستعمرات الفرنسية الخ » (المرجع نفسه ص ٨٧ ـ ٨٨)

ومحاربتها وتأييد الثانية ودعمها (١) .

فالقومية الظالمة قومية غير مشروعة ، منافية لسير التاريخ ولمصالح الانسانية . أما القومية المظلومة فهي قومية مشروعة تخدم سير التطور التاريخي ومصالح الانسانية جمعاء . وتخدم ــ اول ما تخدم ــ مصالح عمال الامة الظالمة نفسها . « ان شعبا يضطهد غيره من الشعوب لا يمكنه ان يكون حرا »

أما الحزب الشيوعي الفرنسي فلئن ميز بين ، القومية الظالمة والقومية المظلومة ، فلكي يؤيد الاولى ، ويحارب الثانية : في الجزائر وسورية وفلسطين ..

ان هزيمة الاستعمار الروسي في منشوريا امام الاستعمار الياباني لم تولد عند لينين شعورا بالفاجعة بل رحب بها واعتبرها دليلا على تفاقم أزمة النظام القيصري .

اما توريز ، فان هزيمة فرنسا في سوريا وغيرها أمام حركات التحرر الوطني تولد عنده شعورا بالفاجعة ..

لم يكن لينين يعتبر نفسه حاميا لمصالح الاستعمار الروسي ضد اطماع الاستعمار الياباني أو الاستعمار الالماني وعندما نشبت الحرب العالمية في عام ١٩١٤ بين المعسكر البريطاني ــ الفرنسي ــ الروسي والمعسكر الالماني ــ النمسوي وطرح البعض سؤال : « أيهما أسوأ » أجاب لينين : كلاهما « أسوأ » (٢) ..

أما الحزب الشيوعي الفرنسي فيعتبر نفسه حاميا لمصالح الاستعمار الفرنسي ضد الشركات الاميركية وايضا

---

١ ــ « ان حزبنا لا يخشى ان يعلن على الملأ انه سيؤيد الحروب والثورات التي قد تقوم بها ايرلندة ضد بريطانيا او مراكش والجزائر وتونس ضد فرنسا او طرابلس الغرب ضد ايطاليا ، او أوكرينية وايران والصين ضد روسيا (المرجع نفسه ص ١٣٦)

١ ــ المرجع نفسه ، ص ٧١ ــ ٧٢

ضد حركة التحرر الوطني ، وذلك بالرغم من عدم وجود تعارض جذري بين الاستعمارين !

وقد بلغ به حرصه على مصالح الاستعمار الفرنسي في أفريقيا واسيا أنه لم يمانع ولو مرة واحدة في تخصيص الاعتمادات المالية للاعمال الحربية حتى شهر اذار ١٩٤٧ . بل أكثر من ذلك . في ٨ اذار ١٩٤٧ ، وقف جاك دوكلو ، سكرتير الحزب ورئيس هيأته البرلمانية ، وقف في المجلس النيابي لينحني أمام العذاب الذي يقاسيه جنود الجيش الاستعماري الفرنسي وروح التضحية التي يظهرونها .. ولم يكن الاستعمار في نظره نظاما قائما على الظلم والاستثمار والاضطهاد ، ولم يكن « تعبيرا خارجيا عن علاقات اضطهاد داخلية »، بل كان «**نظاما له جوانبه الحسنةوجوانبه السيئة** »

واليكم ما قاله جاك دوكلو في جلسة مجلس النواب الفرنسي بتاريخ ١٨ اذار ١٩٤٧ :

« بقدر ما يكون من الخطأ بل من الظلم ان لا نبين الامور على حقيقتها وأن لا نميز بن الصالح والطالح ، فنحدد الفارق بين الاعمال التمدينية التي تمت في بلاد ما وراء البحار وبين اعمال اقل تمدينا ، بقدر ما يكون من الظلم أن ننكر أنه حدثت هناك تجاوزات استعمارية ولو لم تقع مثل هذه التجاوزات فلماذا شعرنا بالحاجة الى استنكار الكولونيالية في دستورنا ؟.. اني أقول هذا الكلام لان المسألة هي أيضا مسألة لياقة ازاء سكان بلاد ما وراء البحار .

يجب ان نخاطب هؤلاء السكان بلغة يمكن ان يفهموها . ولا يجوز ان نلصق بهم كل الخطايا وان نعزو الى أنفسنا كل الفضائل . يجب أن نبين الامور على حقيقتها ، وان نفرق

بين الصالح والطالح» (١)
يجب ان نبين الامور على حقيقتها ..

أهذا هو الكلام الذي يصدر عن حزب يقول عن نفسه انه صديق الشعوب والد اعداء الاستعمار ؟

هل من الاشتراكية (والعلمية ايضا) أن نميز بهذا الشكل بين الصالح والطالح ، وان نفرق بين الاعمال التمدينية واعمال « أقل تمدينا » (٢) ؟

من الواضح ان جاك دوكلو يبحث عن لغة مشتركة يتفاهم بها مع العناصر اليمينية من غلاة المستعمرين . فيقول لهم : من الاجحاف ان نرفض الاستعمار كليا . ولكن

---

١ ـ نشر هذا النص في مقال « الاسس النظرية لسياسة الحزب الشيوعي الفرنسي » ، جريدة المجاهد ، العدد ٢٢ ، تاريخ ١٦ نيسان ١٩٥٨ ، وعلقت عليه جبهة التحرير الجزائرية بايجاز « ان مثل هذه الاقوال تجعلنا نفكر بالمستوى الايديولوجي لدى البعض ! »

٢ ـ صورة عن الاعمال « الاقل تمدينا » : كتب الكولونيل دي مونتانياك ، احد فرسان المدنية الاستعمارية في الجزائر ، في احدى رسائله :

« وتسألني في فقرة من رسالتك ، عما نفعله بالنساء اللواتي نأسرهن ، اننا نحتفظ ببعضهن كرهائن ، ونبيع الباقي لقاء الجياد ، او نبيعه بالمزاد كما نفعل بالمواشي »

ثم يضيف :« كنت احيانا افرج همومي بقطع الرؤوس ، لا رؤوس الارضي شوكى ، بل رؤوس الرجال »

وصورة اخرى عن « التجاوزات » (!) وردت في رسالة المكونت ديريسون : « لقد كان الزوج من اذان الوطنيين يساوي عشرة فرنكات والواقع اننا عدنا ومعنا برميل مليء من الاذان التي جمعناها ، زوجا فزوجا من الاسرى »

من الاجحاف ايضا ان نقبله كليا . فهناك أعمال تمدينية « لا تنكر » . ولكن حدثت « بعض التجاوزات » . واذا ما انكرنا هذه التجاوزات ، فسنحرم انفسنا من أمكانية خدع الشعوب التي ذاقت هذه التجاوزات . فالمسألة مسألة لياقة (وذكاء وقدرة على التأثير) . ودستور الجمهورية الرابعة قد ادرك هذه الحقيقة و « استنكر » ..

والخلاصة هي أن الاستعمار ليس خيرا مطلقا ، ولكنه ليس شرا مطلقا . و « الاتحاد الفرنسي » يقضي على جانب الشر ، يقضي على «التجاوزات» ،ويحفظ المصالح الفرنسية .

* * *

واستمرت مهزلة «الاتحاد الفرنسي» .

في سنة ١٩٤٨ ، عين الاشتراكي نيجلان حاكما عاما في الجزائر ، واوكلت له مهمة « انقاذ الموقف »

وقامت انتخابات جديدة مزيفة . وفي تموز ١٩٤٨ ، نظم عملية قمع أولى في بلدة هوسو نفيلر . وفي ايلول ــ تشرين الاول ١٩٤٩ ، تم تنفيذ عملية قمع جديدة واسعة الناطق في دوار سيدي علي بونال ، حيث عاشت المنطقة ١٥ يوما تحت ظل ارهاب منقطع النظير ، توالت خلالها اعمال النهب والحرق والاغتصاب .. وفي اذار ــ ايار ١٩٥٠ نظمت عملية ارهاب جديدة في جميع انحاء الجزائر ، وفي شباط ١٩٥١ ،نظمت «انتخابات» اخرى للجمعية الجزائرية .

وفي نيسان ١٩٥١ ،ذهب نيجلان بعد ان « انقذ الموقف » (؟) واعقبه مدير الشرطة السابق ليونار فنظم انتخابات تشريعية جديدةوالخ.. الخ.. وتوالت اعمالالبطش

واستمرت سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي على ما كانت عليه : الدفاع عن السلم العالمي ، والنضال ضد حلف

الاطلسي وضد اعادة تسليم المانيا الغربية الخ .. ومعارضة استقلال الجزائر .

سكت الحزب الشيوعي الفرنسي عن جوهر المشكلة الجزائرية ، واخذ يتجادل مع الاحزاب اليمينية ومع الحكومات المتعاقبة حول قضايا فرعية هامشية ، بل اعتبر القضية الجزائرية برمتها قضية فرعية هامشية ، و « جزءا من كل » يضحي به من اجل « الكل » ، من اجل منع تسليح المانيا وطرد الاستعمار الاميركي من اوروبا ، واستعادة « الشرف القومي الفرنسي » وصيانة السلم العالمي « في ان واحد » ..

وسار الحزب الشيوعي الجزائري على السياسة نفسها : رفض مبدأ الاستقلال ، والسكوت عن الاحتلال الفرنسي ، والاخذ بنظرية الامة الجزائرية في طور النشوء والتكوين .

ودعا الحزب الشيوعي الى التعاون مع الاحزاب الوطنية التي اعتبرها قبل مدة « جماعات قومية مزيفة » « يترأسها زعماء فاشستيون » . دعا الى التعاون مع هذه الاحزاب . ولكن لاي غرض ؟ للدفاع عن الحريات او تحسين الاحوال المعاشية او تحقيق « الاخاء » الخ .. واخذ « يسدي النصح » ويصدر التوجيهات للحركة الوطنية ، باسم « النظرية العلمية » .. واستمر في معارضة الاستقلال وفي معارضة كل اتجاه ثوري .

واستمر في عدائه للقومية العربية .

وفي ٢٣ تموز ١٩٥٢ ، قامت ثورة يوليو المجيدة وانفتحت مرحلة جديدة في تاريخ العرب وفي تاريخ القومية العربية . فما كان من جريدة الاومانيته وصحف الحزب الشيوعي الا ان شنت حملة هستيرية على الثورة وعلى قيادتها .. وازدادت الحملة عنفا باطراد في سنة ١٩٥٣ و١٩٥٤ ، وخاصة بعد قيام الثورة الجزائرية في اول نوفمبر ١٩٥٤ .

الفصل الرابع

مرحلة الثورة الوطنية

١٩٥٤ ـ ١٩٥٩

جاء قيام الثورة في اول نوفمبر ١٩٥٤ مفاجأة للاستعمار الفرنسي .

فالحالة في الجزائر كانت تبدو هادئة . والحركة الوطنية منقسمة الى احزاب وجماعات . وقد دب الانقسام الى حركة انتصار الحريات الديمقراطية (١٩٥٣ ـ ١٩٥٤) (١) . والحزب الشيوعي الجزائري ينفث سمومه ...

وكان قيام الثورة مفاجأة تامة للحزب الشيوعي الفرنسي ودليلا على خطأ كل تقديراته .

فقد بنى هذا الحزب كل سياسته على اعتبار ان محور السياسة الفرنسية ، والصراع الطبقي في فرنسا هو النضال ضد الاستعمار الاميركي وفي سبيل استرجاع استقلال فرنسا الوطني وشرفها القومي المهدور ، ومنع تسليح المانيا

---

١ ـ بدأت الازمة في سنة ١٩٥٣ . وعقد انصار مصالي مؤتمرهم الانقسامي في تموز ١٩٥٤ . بينما عقد انصار اللجنة المركزية مؤتمر الحركة في آب ١٩٥٤ .

الغربية ، وتحريم القنابل الذرية الخ .. فقضية الساعة هي « قضية السلم العالمي » . وسياسة الحزب الشيوعي الفرنسي هي « سياسة السلم والاستقلال الوطني والديمقراطية» ويجب تشكيل «جبهة وطنية» من أجل هذه الاهداف .... اما قضية الجزائر وقضايا المغرب العربي ، فهي قضايا فرعية. انها « الجزء » الذي يضحى به في سبيل « الكل » . والنضال من اجل السلم العالمي في نطاق « الاتحاد الفرنسي » هو طريق الخلاص بالنسبة للجزائر ...

تلك هي الاعتبارات الظاهرية التي كانت تغلف السياسة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي .

فكان قيام الثورة الجزائرية صفعة اليمة لهذه الاعتبارات اقامت الدليل على فساد كل تقديرات الحزب الشيوعي الفرنسي واتباعه ومرشديه .

لقد برهنت الثورة الجزائرية على ان محور السياسة الفرنسية ليس « حلف الاطلنطي وتسليح المانيا والسلم العالمي » انما هو **ازمة نظام الاستعمار الفرنسي في العالم ،** هذه الازمة التي ما انفكت تنمو وتتفاقم منذ الحرب العالمية الثانية (١) وقد توالت مظاهر هذه الازمة دون انقطاع :

خلع باي تونس في ايار ١٩٤٣ ، قمع الحركة الوطنية في المغرب ، العدوان على حقوق الشعب اللبناني ، مجزرة صطيف في الجزائر (٤٥ الف قتيل) ، العدوان على الجمهورية السورية وطرد قوات الاحتلال من سوريا ولبنان ، ضرب مدينة هايفونغ والعدوان على الجمهورية الفيتنامية ، مجزرة مدغشقر الرهيبة (٩٠ الف قتيل) ، العدوان حقوق المغرب وتونس

---

١ ــ ان تفاقم أزمة الاستعمار الفرنسي هو جزء من تفاقم ازمة النظام الاستعماري العالمي . ولكنه جزء أساسي حاسم !

سقوط دين بين فو وهزيمة فرنسا في الهند الصينية ، قيام الثورة الجزائرية .

في ٨ أيار ١٩٥٤ ، في الذكرى التاسعة لمذبحة صطيف ، سقطت دين بين فو .

وفي اول تشرين الثاني من العام نفسه ، بدأت المعارك في جبال اوراس وفي اماكن اخرى من الجزائر .

واستفحلت الازمة ...

الاستعمار الفرنسي يشرف على الموت . وهذه الحقيقة تسيطر على تطور الاحداث جملة وتفصيلا . ان دخول الاستعمار في دور الاحتضار هو العامل الحاسم الذي يقرر مصير المعركة داخل فرنسا ايضا .

فقوى الرأسمالية الاحتكارية تحشد قواها للدفاع عن مواقعها التي زلزلتها ثورة التحرر الوطني في الجزائر وفي كل مكان .

فهل تعترف قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي بهذه الحقيقة ؟ هل تعترف باخطائها وتعمد الى تعديل خططها ؟

هل تقر بانها كانت على ضلال عندما ايدت سياسة الادماج وحملت على الحركة الوطنية ؟

هل تقر بانها كانت على ضلال في موقفها من مجازر أيار ١٩٤٥ ؟

هل تقر بأنها كانت على ضلال عندما عارضت استقلال الجزائر وقالت ان الاستقلال هو استعمار ؟

هل تقر بأنها كانت على ضلال في هجومها على العرب والقومية العربية ؟

هل تفضح علنا وصراحة النظرية الاستعمارية ، نظرية الامة الجزائرية الآخذة في النشوء ...

هل تفضح علنا وصراحة النظرية الاستعمارية ، نظرية « الجزء والكل » ؟

هل تفضح فكرة « الاتحاد الفرنسي » ، هذا الترقيع الفاشل لاستعمار حكم عليه بالموت ؟

هل تعمد ، بعد الاعتراف باخطائها وبضلال تقديرها الاساسي حول « ألجزء والكل » ، هل تعمد الى قلب خططها ؟

هل توجه الحزب الشيوعي وتعمل على توجيه الطبقة العاملة الفرنسية نحو تسديد ضربة الخلاص للاستعمار الفرنسي ، كي ينفتح طريق التحرر الاجتماعي امام العمال الفرنسيين ، وفقا للمبدأ الذي طالما تبجحت فيه : « ان شعبا يضطهد غيره من الشعوب لا يمكن ان يكون حرا » ؟

ان الطريق لانتصار القوى الاشتراكية في فرنسا يمر حتما بانتصار حركة التحرر الوطني في المستعمرات . فهل تفهم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي هذه الحقيقة وتنسجم معها عمليا ؟

★ ★ ★

رد الفعل الاول

نشبت الثورة الجزائرية في اليوم الاخير من شهر تشرين الاول . فهل تسلط جريدة الحزب الاضواء عليها ؟ هل تؤيدها وتبرز اهميتها التاريخية ؟ هل تفرد لها المقال الافتتاحي ؟

كلا .

في ٢ تشرين الثاني ، نشرت الاومانيته خبرا بعنوان

« حوادث خطيرة في الجزائر » . ويتضح من فحوى الخبر ان تعدد الاعمال المسلحة يشير الى وجود ثورة عسكرية منظمة . وتذكر الجريدة قراءها بحوادث ايار ١٩٤٥ ، فتقول :

« مما يذكر ان الاستفزازات في عام ١٩٤٥ قد ادت في هذه المنطقة الى مجازر ذهب ضحيتها عشرات الالوف من الجزائريين » .

هذا يعني ان الاومانيته لم تعد ـ منذ سنوات ـ تلقي مسؤولية المجازر على عاتق « القتلة الهتلريين والزعماء القوميين المزيفين من اصدقاء البيان والحرية » ، بل على الاستفزازات الاستعمارية الفرنسية .

اذ ما هي الفائدة من انكار الحقائق البديهية الآن ؟ اية فائدة يجنيها الحزب الشيوعي **الآن** من اتهام الهتلريين والقوميين المزيفين ؟

لقد كذبت الاومانيته وضللت ونافقت كثيرا حول هذا الموضوع **في شهر ايار ١٩٤٥ ؟**

اما **الآن** فقد اصبح من الافضل الاعتراف بالحقائق البديهية عن الماضي والعمل على سوق اضاليل جديدة تتعلق بالحاضر .

موقف الحزب الشيوعي الجزائري

وفي ٣ تشرين الثاني ، نشرت الاومانيته بيان المكتب السياسي للحزب الشيوعي الجزائري ، وهو يدعو الى « البحث عن حل ديمقراطي يحترم مصالح جميع سكان الجزائر دون ما تمييز في العرق او الدين ، ويأخذ بعين الاعتبار مصالح فرنسا » .

هكذا اذن : « حل ديمقراطي » للجزائر ، « حل عادل » لفلسطين الخ .. (١) يحترم مصالح جميع السكان دونما تمييز في العرق او الدين : ـ بما فيهم المستوطنون الذين اغتصبوا الاراضي الزراعية ... ويحترم مصالح فرنسا الاستعمارية ايضا ..

أية مصالح ؟ كيف يعترف الحزب الشيوعي **الجزائري** بمصالح لفرنسا في **الجزائر** ؟ ولا يعترف الحزب الشيوعي **الفرنسي** بمصالح لالمانيا واميركا في **فرنسا** ؟

اما الاستقلال التام الناجز الفوري فلا ذكر له بالطبع .. بالرغم من ان الثورة قامت من اجله ، والمطلوب من الحزب الشيوعي الاقرار بهذه الحقيقة والتأييد ! ولكن كيف يذكر الاستقلال ما دام الهدف « البحث عن حل ديمقراطي الخ .. »

ولا بد من مقارنة هذا الموقف بموقف « حركة انتصار الحريات الديمقراطية » . فقد اصدرت هذه الحركة في اليوم نفسه بيانا نشر في الصحف ، طالبت فيه بـ « حق الجزائر في تقرير مصيرها طبقا لميثاق الامم المتحدة » . فما كان من سلطات الاستعمار الفرنسي الا ان تعلن حل الحركة المذكورة (٥ تشرين الثاني)بينما ظل الحزب الشيوعي الجزائري حزبا قانونيا مشروعا في ظل القمع الاستعماري الوحشي وفي عهد الثورة الوطنية المسلحة ، لاشهر عديدة .

---

١ ـ ان القارىء سيقارن بين غموض التعابير التي يستعملها الحزب الشيوعي عند ما تخص المسألة بلدا عربيا ـ الجزائر او فلسطين ... وبوضوح مفرداته عندما تتعلق القضية بكوريا مثلا ، فيقول عندئذ بالتحرير والجلاء والاستقلال والوحدة ....

بيان ٨ تشرين الثاني

في ٩ تشرين الثاني ، بعد ان ثبت حتى للعميان ان الثورة ماضية في طريقها نشرت الاومانيته بيان الحزب الشيوعي الفرنسي عن « حوادث الجزائـــر » (١)

يستنكر البيان اعمال الحكومة الفرنسية ، ويلقي مسؤولية « الحوادث » عليها . ــ حوادث مؤسفة حقا ! ــ ثم « يطالب » « بالاعتراف بحق الشعب الجزائري وبمطالبته بحريته » ، وبحث هذه المطالبة مع ممثلي **جميع احزاب الحركة الوطنية والمهنية والدينية والشخصيات .**

ويضيف ان هذه الخطوات هي وحدها قادرة على اعادة الهدوء الى الجزائر (!) وافساح المجال (!) للتقدم « ! » نحو حل ديمقراطي (!!) .

الحزب الشيوعي الفرنسي لا يطالب بالاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال ، بل « بحق الشعب الجزائري» فقط . . حق الشعب الجزائري في ماذا ؟

الحزب الشيوعي الفرنسي لا يطالب بالاعتراف بحرية الشعب الجزائري ، بل فقط « بمطالبته بحريته » !

واما حق الشعوب في تقرير مصيرها ، حقها في الاستقلال والانفصال عن مستعمريها ، فهذه امور توضع في الكتـــب للاستهلاك ، وللاستهلاك الخارجي بالدرجة الاولى .

واما جبهة التحرير الوطني ، التي تقود الثورة وتقود الشعب بعد افلاس الاحزاب وازمة الحركة الوطنية والنضال

---

١ ــ بخصوص هذا البيان ، يستطيع القارىء العربي ان يرجع الى كتاب ليون فيكس « الجزائر حتف الاستعمار » ، اصدار بيروت .

السلمي،فلا وجودلها في نظر الحزب الشيوعي الفرنسي. وهذايعني ان هذا الحزب لا يعترف عمليا بالثورة نفسها، ويدعو الحكومة الفرنسية الى « بحث المطالب » (؟) مع الاحزاب والشخصيات والجمعيات المهنية والدينية الخ ..

« الاعمال الفردية »

ثم ينتقل البيان الى موضوع « الاعمال المسلحة» ، فيقول بالاسلوب الملتوي الذي لا يفهمه الا الخواص :

« في هذه الظروف ، ان الحزب الشيوعي الفرنسي الامين لتعاليم لينين ، لا يمكنه ان يوافق على اللجوء الى اعمال فردية من شأنها خدمة اسوأ غايات المستعمرين ، هذا ان لم يكونوا هم الذين يدبرونها ، يؤكد للشعب الجزائري تضامن الطبقة العاملة الفرنسية في نضاله **الجماهيري ضد** القمع ومن اجل **الدفاع** عن حقوقه » .

في الجزائر **ثورة** . ثورة وطنية من اجل الاستقلال . ثورة عسكرية مسلحة ودامية .

لسنا امام نضال **« ضد القمع »** ومن اجل **« الدفاع »**.. الجزائر لا تكافح القمع ولا تدافع .. انها **تثور** ضد الاستعمار انها **تهاجم وتنقض على الاستعمار** .

فما هو موقف الحزب الشيوعي الفرنسي ؟ هل يؤمن بحق الشعوب في **الثورة** على المستعمرين ؟ هل يؤيد **الحرب** الوطنية الثورية ضد هؤلاء المستعمرين ؟

كلا . انما « يؤمن » فقط بحق الشعوب في النضال ضد القمع ومن اجل الدفاع الخ ...

وبعد . ما هي هذه « الاعمال الفردية » التي يقصدونها ؟

لقد بدأت الثورة المسلحة . والنضال الثوري المسلح يشمل اعمالا متنوعة بعضها يتخذ شكل طابع المعارك المنظمة بين جماعات مسلحة كبيرة او صغيرة ، وبعضها يتخذ شكل اعمال منعزلة مسلحة — قد يقوم بها افراد — ضد بعض ممثلي السلطة الاستعمارية وضد بعض المستوطنين والخونة المأجورين .

اما الحزب الشيوعي الفرنسي فيتجاهل الثورة المسلحة. ويقول : لا يمكننا الموافقة على الاعمال الفردية لانها تتعارض مع تعاليم لينين . اليست الماركسية — اللينينية ضد الاعمال الفردية ؟

ما هو موقف الماركسية الحقيقي من الاعمال الفردية

اجل تلك هي الفكرة الشائعة . ولكن الحقيقة خلاف ذلك

لنلاحظ اولا ان عددا من الاحزاب الشيوعية لا تبالي بالنظرية المزعومة وتقوم باعمال ارهابية اذا ما اقتضت مصلحتها ذلك (١)

ولنلاحظ ثانيا انه لا يوجد أي نص عند لينين ، يحرم « الاعمال الفردية » تحريما **مطلقا** ، وينظر الى هذه القضية بشكل مطلق . بل هناك نص معاكس تماما ، وهو مؤلف كلاسيكي شهير عنوانه « حرب الانصار » كتبه لينين في اوكتوبر ١٩٠٦ .

ولا ريب ان توريز واعوانه من سدنة الماركسية وحماة نصوصها يعرفون هذا المؤلف جيدا . لا سيما وانه ورد في

---

١ — في رأس هذه الاحزاب يأتي الحزب الشيوعي السوري اللبناني الذي لا يخلو تاريخه من جرائم الاغتيال ناهيك عن الحزب الشيوعي العراقي .

مجلد « ماركس وانجلس والماركسية » للينين ، في جميع الطبعات المتتالية لهذا المجلد الشهير .

اجل باستطاعتنا ان نحسم المشكلة دون خوض النقاش مع توريز وجماعته حول ما يسمونه « اعمالا فردية » . فنقول اننا أمام **ثورة وطنية مسلحة** ، وموقف الحزب الشيوعي ليس الا تهربا من الواقع ودفاعا عن مصالح الاستعمار .

ولكن من الافضل ان نتناول الامور من جذورها ، لا سيما **والشائع ان النظرية الماركسية تعارض « الاعمال الفردية » و « الارهاب الفردي »** .

فهل هذا الرأي الشائع هو الرأي الصحيح ؟

موقف لينين عام ١٩٠٦

لنرجع اذن الى تعاليم لينين .

ولنلق نظرة على تجربة النضال الثوري في روسيا في فترة ١٩٠٥ — ١٩٠٧ .

اصيبت الثورة الديمقراطية في روسيا بنكسة اولى في ديسمبر ١٩٠٥ . الا ان النضال الثوري استمر رغم النكسة ورغم التراجع ، وتوسع في **بعض** المناطق وفي **بعض** الاوساط

وكانت اشكال النضال متنوعة ، تختلف بين فترة واخرى الاضرابات الجزئية ، الاضراب السياسي العام ، قتال المتاريس والثورة المسلحة في موسكو (ديسمبر ١٩٠٥) ، العصيان في الجيش ، وانتفاضات الفلاحين الخ ...

وظهر خلال الثورة شكل جديد من اشكال النضال هو « النضال المسلح الذي يقوم به **افراد** او جماعات صغيرة من الافراد » .

ظهر هذا الشكل الجديد بصورة عفوية من نضال الجماهير نفسه ، وانتشر بشكل خاص في سنة ١٩٠٦ ، أي بعد النكسة الاولى والتراجع .

والقى هذا النضال الحيرة والبلبلة في صفوف حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي : المنشفيك ــ اليمينيون ــ وقسم كبير من البولشفيك ــ اليساريون ــ عارضوه والصقوا به التعابير الكلاسيكية ، فوصفوه بالفوضوية والبلانكية وبالعودة الى الطرق العدمية ــ النيهيلية ــ . وقالوا ان تلك أعمال يقوم بها افراد فقدوا كل صلة بالجماهير ، وهي تحطم معنويات العمال وتحول عنهم عواطف القطاعات الشعبية الواسعة وتبث الفوضى في صفوف الحركة الثورية وتسيء الى النضال الثوري وتفيد القيصرية (هذا اذا لم تكن القيصرية هي التي تدبرها) .

فرد لينين على هذه الاقوال في مؤلفه الكلاسيكي « حرب الانصار » . فماذا يقول لينين ؟

اولا : الماركسية لا تربط الحركة الثورية بشكل واحد معين من اشكال النضال . انما تعترف باشكال للنضال متنوعة الى ابعد حد ، وهي لا «تخترع » او تبتكر هذه الاشكال ، بل تقتصر على تلخيص الاشكال التي تنبثق بصورة عفوية من سير الحركة ، فتعممها وتنظمها وتجعلها واعية . والماركسية تعارض جميع القوالب والصيغ المجردة وتسخر من وصفات المذهبيين الفارغين .

ثانيا : بعد هذه المقدمة المبدئية العامة ، يتناول لينين الموضوع الذي نحن بصدده . فيقول اننا « امام اعمال مسلحة يقوم بها **افراد** او جماعات صغيرة من الافراد » . وبعض هؤلاء الافراد ينتمون الى تنظيمات ثورية وبعضهم ــ واحيانا معظمهم ــ لا ينتمون الى أي تنظيم . ولهذه الاعمال هدفان

منمايزان : قتل افراد (من الشرطة الخ ...) ، او مصادرة **أموال (عائدة للحكومة القيصرية أو الافراد) . وتستخدم** الاموال المصادرة ـ بهذه الطريقة « الثورية » ـ لسد حاجات الحزب ولشراء الاسلحة والاعداد للثورة ، وجزئيا لمعيشة المناضلين الذين يقومون بهذه الاعمال ...

ويشير لينين الى ان من جملة الاسباب الهامة التي ولدت هذا الشكل من اشكال النضال « تفاقم الازمة السياسية حتى درجة النضال المسلح ، وبشكل خاص ، استفحال البؤس والجوع والبطالة في المدن والقرى » ، كما ينوه بان « البروليتاريا الرثة والجماعات الفوضوية » تؤثر هذا الشكل النضالي على غيره وتمارسه بشكل خاص ، فترد عليه السلطة القيصرية باعلان حالة الحصار وتعبئة قوات جديدة ومجازر جديدة والمحاكمات العرفية .

فمن الواضح بل من البديهي ان لهذا الشكل النضالي محاذير عديدة وجوانب سلبية لا يرقى اليها الشك .

ثالثا : هل ينبذ لينين هذه الاعمال ؟ لقد كان التقدير المألوف في روسيا عام ١٩٠٦ يقول انها « اعمال فوضوية وبلانكية وعودة الى الارهابية القديمة » ... فهل يوافق لينين على هذا التقدير المألوف ؟

كلا .

بل نراه يعمد الى طريقة اخرى في معالجة القضية . فيتناول مسير هذه الاعمال في منطقة ليتونيا التي كانت ـ مع القوقاس ـ الموطن الرئيسي لهذا النضال « الخاص » ويذكر ان جريدة حزب العمال الليتوني التي تصدر ٣٠ الف نسخة تنشر عادة قوائم باسماء الجواسيس الذين يجب على

كل انسان شريف ان (يعدمهم) . كما تنشر تقارير عن الاموال المصادرة ـ « بالطريقة الثورية » ـ وكيفية انفاق هـذه الامـوال (لشراء الاسلحة الخ ..)

ويقول لينين انه ليس من المعقول نعت هذا النشـاط الثوري في ليتونيا بالفوضوية والارهابية ، ذلك لان هناك علاقة واضحة بين الشكل النضالي وبين الثورة المسلحة ، الثورة المسلحة التي حدثت في ديسمبر الماضي ١٩٠٥ ، والثـورة المسلحة التي يجري التمهيد لها . ثم يميز لينين بين الارهاب الروسي القديم (ارهاب النيهيلستيين في القرن التاسع عشر) الذي كان يقوم به **مثقفون متآمرون** في ظرف **غير** ثوري ، وبين نضال الانصار الجديـد الذي يقوم به مناضلـون **عماليون** او **عاطلون عن العمل ، في ظرف ثوري** . فهذه الاعمال الراهنة هي من السمات الخاصة بمرحلة انتقالية تتوسط الفصول الرئيسية من الثورة .

ان نضال الانصار شكل نضالي لا بد منه في عهد تؤدي فيـه حركة الجماهير الى الثورة ، وتقوم فيه فواصل زمنية كبيرة او صغيرة بين « المعارك الكبرى » في سير الحرب الاهلية .

وواجب الحزب الثوري ، بدلا من الصاق الاوصاف وتوجيه الاتهامات ، هو قيادة هـذه الاعمال وتنظيمها واخضاعهـا للمخطط الثوري ، والعمل على شل جوانبها السلبية . فالحكم على هذا العمل او ذاك وعلى هذا الشكل او ذاك من اشكال النضال لا يجوز ان يستند على مبادىء عامة مطلقة أو على كليشيات رتيبة ومألوفة ، بل على **الفائدة السياسية ، على الفائدة العسكرية .**

رابعا واخيرا : يستنبط لينين من هذا الموضوع خلاصة عامة هي ان مسألة اشكال النضال المختلفة ودورها في سير الحرب الاهلية لا تحل في مكاتب الدراسة النظرية ولا تفرض

من فوق . انما واجب القيادة الثورية المساهمة في التقييم النظري الصحيح لاشكال النضال الجديدة التي تفرضها الحياة ومحاربة الكليشيات الرتيبة والقوالب الجامدة .

هذا هو موقف لينين من « الاعمال الفردية » في الثورة الروسية عام ١٩٠٦ .

ان الماركسية ـ اللينينية ـ لا تعارض بشكل مطلق « الاعمال الفردية » و « الارهاب الفردي » . هنا بخلاف الرأي الشائع ، بخلاف الرأي التي تروجه بعض الاوساط سعيا منها لتغطية بعض الافعال ولتبرير بعض المواقف .

فأين « تعاليم لينين » المزعومة ؟ لقد وافق لينين على « الاعمال الفردية » في الثورة الروسية . وافق على قتل اشخاص معينين . ووافق على مصادرة الاموال بالطريقة الثورية ـ لتأمين الاسلحة للثورة وتأمين حاجات الحزب المالية .. الخ ! ..

فماذا نقول عن حزب موريس توريز الذي عارض « الاعمال الفردية » في الثورة الجزائرية . **رغم الفارق الكبير بين وضع المسألة في الثورة الروسية ـ حيث فيها كثير من التعقيد والتداخل والملابسات ـ ووضعها في الثورة الجزائرية حيث هي « واضحة وساطعة كالشمس في رائعة النهار » .**

الفوارق بين الثورتين

فالثورة الروسية حرب **اهلية** ، تقف فيها طبقات اجتماعية وافرة العدد نسبيا ضد الثورة وتنقسم فيها الامة الى معسكرين متصارعين .

اما الثورة الجزائرية فهي **حرب وطنية يشترك فيها** ويؤازرها الشعب باسره .

والفترة التي يتحدث عنها لينين ١٩٠٦ هي مرحلة انتقالية بين فصلين من الثورة ، مرحلة سلمية نسبيا بين ثورتين (١)

اما الثورة الجزائرية فهي **حرب ثورية قائمة** : ليست مرحلة انتقالية بين فصلين رئيسيين من الثورة . انها الثورة نفسها . و « الاعمال الفردية » التي يعنيها الحزب الشيوعي الفرنسي لا تقوم على اساس **احتمال** ثوري ، بل على أساس **واقع ثوري راهن** .

في الثورة الروسية ١٩٠٦ ، كانت « اعمال الانصار » تقوم على يد افراد (او جماعات صغيرة من الافراد) ينتمون لتنظيمات مختلفة او لا ينتمون لاي تنظيم على الاطلاق .

اما في الثورة الجزائرية ، فيقوم بها افراد (او جماعات صغيرة من الافراد) ينتمون لتنظيم ثوري **واحد** (جبهة التحرير الجزائرية) ويخضعون لتخطيط ثوري **واحد** (تخطيط هذه الجبهة) .

في الثورة الروسية ١٩٠٦ ، كانت هذه الاعمال ــ في كثير من الاحيان ، ان لم يكن في أغلب الاحيان ــ تقوم على يد عاطلين عن العمل وعناصر من البروليتاريا الرثة ، لا تدفعهم دوما الحوافز الثورية . اما في الثورة الجزائرية ، فيقوم بها عمال وفلاحون وشباب ينفذون مهمات كلفوا بها من قبل التنظيم الثوري لجبهة التحرير ، مدفوعين بانبل الحوافز الوطنية الثورية .

---

١ ــ ويجب الاعتراف بأن هذا ــ الفاصل الزمني ــ قد دام سنوات عديدة. فالمعروف ان الثورة « القادمة » لم تحصل في سنة ١٩٠٧ او ١٩٠٨ بل تأخرت حتى عام ١٩١٧ . هذا بخلاف ما كان يتوقعه لينين ويعمل لاجله الا ان لينين قد تبنى الموقف **الثوري** وكيف سلوكه على اساس قدوم الثورة ، ما دام **الاحتمال** الثوري قائما .

في الثورة الروسية ، كانت لهذه الاعمال جوانب سلبية كثيرة ، مما يقتضي بذل جهد كبير لشل هذه الجوانب ، اما في الثورة الجزائرية ، فالجوانب السلبية الممكنة ـ التي لا يخلو منها أي شكل من اشكال النضال كما لا يخفى على هؤلاء « الماركسيين الديالكتيين » ـ هي أقل بكثير ، ذلك بفضل التخطيط والتنظيم والفوارق العديدة التي أتينا على ذكرها .

رأي جبهة التحرير الجزائرية

ان الاعمال المسلحة التي يقوم بها « أفراد او جماعات صغيرة من الافراد » جزء لا يتجزأ من الثورة الوطنية ومن الحرب الوطنية الثورية . **والارهاب** شكل هام من اشكال النضال في الثورة الجزائرية . انه جزء لا يتجزأ من هذه الثورة .

واليكم ما تقوله جبهة التحرير الجزائرية حول هذا الموضوع :

« في نفس الوقت الذي تتابع فيه ، على الصعيد العسكري الصرف وتحت اشراف جيش التحرير الوطني ، برنامج رفع مستوى وحدات الجيش ، اخذ تنظيم كفاحي جديد يتبلور شيئا فشيئا » .

اجل ، منذ الايام الاولى للثورة ، برهن الارهاب في المدن على انه اداة ضرورية وفعالة .

الا انه كان في ذلك الحين نتيجة مبادهات محلية ، هدفها الرئيسي احداث صدمة سيكولوجية . فجعلت منه جهود المسؤولين اداة دائمة للنضال تعمل بالتوافق مع جيش التحرير الوطني ، وتبين انه تكملة لا غنى عنها لهذا الجيش ، تسهم في تشديد جو عدم الامن الدائم في البلاد .

لقد اتخذ الارهاب شكل حركة انصار حقيقية داخل المدن ، وتعزز يوما بعد يوم . وهو تعبير عن عن تصميم سكان المدن على الرد على المجازر التي يرتكبها الجيش الفرنسي والمليس المسلح ضد المدنيين ، وعلى الارهاب ـ المعاكس الذي يقوم به الاوروبيون .

ونفذ هذا الارهاب اعماله حيث لم يكن ذلك ممكنا للجيش النظامي . وكانت مهمته اعدام عملاء الاستعمار وانزال العقاب بالخونة والرد على منظمات المدنيين الاوروبيين المسماة « اليد الحمراء » .

نقد هاجمت جماعاتنا الارهابية كافة المدن حتى اصغر المراكز . لقد شنت هجماتها في ضوء النهار وعلى المكشوف ، بالقنبلة والرشيش والمسدس . حتى اصبح احتقارها الخطر وروحها الفدائية العالية اسطورة عند الشعب ...

لقد اصبحت اليوم هذه الجاعات الارهابية جيشا ثانيا لا يرتدي البزة العسكرية » .
(الشعب الجزائري وثورته ، صدر عام ١٩٥٧ ، باللغة الفرنسية ، ص ٩ ـ ١٠) .

المغزى الحقيقي للحزب الشيوعي الفرنسي

ان موقف الحزب الشيوعي الفرنسي من الارهاب الوطني الجزائري لا يستند قطعا الى تعاليم لينين ، ولا يستند قطعا الى أي اعتبارات «مبدئية» ... « فمبادىء الاشتراكية العلمية وتجربة حركة العمال العالمية » لا تبرر ابدا هذا الموقف السلبي حيال الارهاب الوطني الثوري في الثورة الوطنية الجزائرية .

وهذا الموقف ليس الا تعبيرا عن عداء الحزب الشيوعي

للثورة الجزائرية القائمة ، تعبيرا ارادة توريز ان يكون مستورا ومموها ، فجاء حادا صارخا ، يكشفه واقع الثورة الجزائرية كما يكشفه التناقض بين الاقوال والافعال ، بين النظرية والتطبيق العملي .

ان الارهاب الثوري في الجزائر جزء لا يتجزأ من الثورة الجزائرية . ومعارضة الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي الجزائري لهذا الارهاب جزء لا يتجزأ من معارضتهما للثورة الجزائرية .

موقف الحزب الشيوعي الجزائري

وقد اوضحت جبهة التحرير هذه الحقيقة في فضحها لمواقف الحزب الشيوعي الجزائري :

« ان القيادة الشيوعية ، البروقراطية ، التي ليس لها أي صلة بالشعب ، قد عجزت عن تحليل الموقف الثوري تحليلا صحيحا . ولهذا السبب ، فقد شجبت « الارهاب » واصدرت الاوامر ، منذ الاشهر الاولى للثورة ، للمناضلين الشيوعيين في منطقة اوراس الذين قدموا الى مدينة الجزائر لطلب التوجيهات ، اصدرت لهم الاوامر **بعدم حمل السلاح**.» (المجاهد ، باللغة الفرنسية ، عدد خاص)

لقد اصدرت قيادة الحزب الشيوعي الجزائري التوجيهات الى اعضاء الحزب بعدم حمل السلاح وعدم دعوة الناس الى حمله .. وفي نفس الوقت استنكرت الارهاب الوطني الجزائري . واذا كان موقف الحزب الشيوعي الفرنسي يستجيب لمصالح الاستعمار الفرنسي او لاعتبارات سياسة الكتل والمعسكرات ، فان اقل ما يمكن ان نصف به موقف الحزب الشيوعي الجزائري هو الخيانة .

ومضت اشهر ، ونشر ليون فيكس في شباط ١٩٥٥ مقالا جديدا في مجلة « دفاتر الشيوعية » . وقد نقل هذا المقال الرديء الى اللغة العربية في بيروت حيث نشر بشكل كتاب تحت عنوان مزور « الجزائر حتف الاستعمار » .

لنطالع فحوى المقال لنتبين ما اذا كان الحزب الشيوعي الفرنسي قد عدل مواقفه بعد مضي ثلاثة اشهر على قيام الثورة .

لقد اثبتت الثورة الجزائرية ، ضد الاستعمار وفلسفته ونظرياته ، كيان الجزائر التاريخي والقومي العربي . فربطت حاضرها بماضيها ، ربطت الكفاح الحاضر بكفاح الشيخ المقراني والامير عبد القادر . كما ربطت كيان الجزائر بالكيان العربي وثورة الجزائر الحاضرة بالثورة العربية الحديثة .

لقد اثبتت الثورة الجزائرية ان الاستعمار الفرنسي ليس مرحلة تاريخية في تاريخ تكون الجزائر القومي المزعوم . انما هو « حادثة اليمة وشاذة مضمونها الاساسي انها عطلت تطور الجزائر التاريخي » . و « الامة الجزائرية الآخذة في التكون » بانصهار اجناس مختلفة في ظل الحراب الاجنبية ، ليست سوى تخيل كاذب ابتكره اناس غرباء عن الجزائر ويعملون ضد مصلحة الجزائر .

نظرية الامة الآخذة في التكون

فهل يتخلى الحزب الشيوعي عن نظرية « الامة الجزائرية الآخذة في التكون » ... ؟

كلا . ثم الف كلا .

ان قسما كبيرا من مقال ليون فيكس مكرس لتثبيت هذه النظرية :

* * *

« .. ان ثمة أمة جزائرية آخذة في التكون هي ايضا بانصهار اجناس مختلفة ... الخ »

يعرض ليون فيكس الكلام الذي ورد على لسان زعيمه توريز قبل ١٦ عاما . ثم يثني على هذا الكلام ، فيقول بلا خجل :

« وهذا التعريف يشكل اسهاما حاسما من الامين العام للحزب الشيوعي الفرنسي في قضية تحرر الشعب الجزائري !

والواقع (!) اننا وجدنا ان القضية الجزائرية ، في هذا التعريف ، توضع على القاعدة الصحيحة الوحيدة ، وهي قاعدة النظرية الماركسية ـ اللينينية في الامة . ومنذ ذلك الحين ، اصبحت الطبقة العاملة الجزائرية والشعب الجزائري يعتمدون في نضالهم الوطني على مرتكز نظري راسخ ، وطيد » (المرجع المذكور ، الطبعة العربية ، ص ٢٦ ـ ٢٧)

لقد كان البعض ينتظرون من هذا الحزب ان يقف موقفا مطابقا للمبادىء التي ينادي بها ، مبادىء تأييد شعوب المستعمرات ، وان يخطو خطوات عملية لمساعدة الشعب الجزائري في ثورته ....

والحزب الشيوعي الفرنسي يقدم مساهمته : وهذه المساهمة هي نظرية الامة الجزائرية الآخذة في التكون ، منذ سنة ١٩٣٩ ، بفضل جهود الجمهورية الفرنسية وبفضل انصهار العرب والفرنسيين .

ذلك هو « المرتكز النظري » لنضال الشعب الجزائري !!

كيان الجزائر عام ١٨٣٠

وعلى اساس هذه « القاعدة الصحيحة الوحيدة » ، يؤكد

ليون فيكس مرة اخرى « ان الجزائر كانت عام ١٨٣٠ بعيدة عن ان تملك صفة الامة » . « فالسكان منقسمون الى قبائل» و « لم توجد ثمة علاقات اقتصادية وبشرية حقيقية بين مختلف اجزاء البلاد » . و « اللغة واسلوب المعيشة ، والتقاليد تختلف باختلاف الجماعة العنصرية او الاقليم » . « ويومئذ كانت افريقيا الشمالية الوسطى خاضعة منذ ثلاثة قرون لسيطرة الاتراك » ... نعم « يومئذ » في سنة ١٨٣٠ لم تكن الجزائر مستقلة . بل لم تكن ثمة جزائر . والاصح ان نقول افريقيا الشمالية الوسطى ! ــ وسلطة الداي كانت سلطة اسمية . حتى سلطة البايات (حكام الولايات الاربع) كانت اسمية !! « وهكذا يتضح بان الجزائر كانت عام ١٨٣٠ بعيدة عن ان تملك صفة الامة» . (المرجع نفسه، ص ٢٧ ــ ٢٨)

من هذا الاستدلال الطويل القائم على مقدمات مغلوطة ، نفهم اذن حقيقة جوهرية : عندما يقول ليون فيكس وامثاله ان الجزائر لم تكن تملك « صفة الامة » ، انما يريدون ، بهذا الاسلوب الملتوي الخاص ، ان ينكروا كيان الجزائر كشعب وكدولة قبل الفتح الاستعماري .

لمصلحة من ؟

فلصالح من يحصل هذا الانكار في مرحلة الصراع المسلح الدامي بين الشعب والاستعمار ؟ ولصالح من يسوق ليون فيكس كل هذا « العلم » ؟ ألصالح الشعب الجزائري ام لصالح الاستعمار الفرنسي ؟

وبعد ما هو الفرق بين ما يقوله ليون فيكس وما يقوله اشد غلاة المستعمرين ؟ (١) .

١ ــ سيذكر القارىء على سبيل المثال ، ما قاله الجنرال ديغول نافيا وجود استقلال الجزائر والشخصية الجزائرية . راجع الفصل الاول من هذا الكتاب .

الواقع ان هذا الكلام ليس هراء من الوجهة النظرية وحسب ، بل هو ايضا مساعدة للاستعمار واسهام من الحزب الشيوعي الفرنسي في تحقيق اغراض الاستعمار .

فكرة الامة ـ المزيج

لا أمة عربية ولا شعب جزائري جزء من الامة العربية . وانما امة جزائرية آخذة في النشوء والتكون ... وهذه الامة تتألف من جماعتين رئيسيتين : « المسلمون » (عرب وبربر واتراك ...) و « السكان الذين هم من اصل أوروبي » (ص ٣٢) . أذ ان الامم في نظر هؤلاء « الماركسيين » لا تتألف من طبقات اجتماعية فقط ، بل تتألف ايضا من جماعات من نوع آخر ، جماعات لها لغات خاصة مختلفة .. (!) لقد مسخوا نظرية **لا عرقية الامة** وحولوها الى نظرية **الامة الهجينة** ، الامة ـ المزيج .

لماذا أغفل اللغة ؟

ويتطرق ليون فيكس الى « طابع السكان الذين هم من اصل أوروبي » ، فيكرس لهذا الموضوع فصلا خاصا . انه يريد ان يثبت ان هؤلاء يدخلون في صلب الامة الهجينة الناشئة . وان مصير هذه الامة واستكمال نشوئها يتوقفان على اندماج هؤلاء الاوروبيين مع « الجماهير المسلمة » ـ وهو وهو يعلم تمام العلم ان اللغة ليست عنصرا مشتركا بين الجماعتين ، ويفهم ان كل الجهود التي قد يبذلها في هذه الوجهة ستذهب هباء ، بل ان مجرد التعرض لموضوع اللغة المشتركة كفيل باحباط خطته من اساسها . ولهذا السبب نراه « يقفز » من فوق عنصر اللغة ليتناول موضوع « التكوين

النفسي المشترك » ، الطابع القومي الجزائري المزعوم لاوروبيي الجزائر .

ملامح نفسية مشتركة !

يبدأ ليون فيكس بالتحدث عن اصل هؤلاء المستوطنين :
« الالوف من غير المرغوب فيهم في فرنسا بعد حوادث حزيران ١٨٤٨ ، ... الالوف من اهالي الالزاس واللورين الذين رفضوا ان يصبحوا بروسيين .. » الخ .. الى ان يقول :

« ان اغلبية هؤلاء الرجال والنساء يعتبرون الجزائر — هي البلاد التي ولدوا فيها وفيها يعملون ، ولهم فيها عائلاتهم **ومصالحهم** — يعتبرونها بلادهم . ان نمط حياتهم لم يعد نمط حياة الفرنسيين ، وطريقة نظرهم الى كثير من القضايا لم تعد طريقة نظر الفرنسيين واكثر اولئك رجعية يسمون انفسهم « فرنسيي الجزائر » معارضة لاسم « فرنسيي فرنسا ».. تلك ظاهرة تكاد تكون عامة . **اذن** لا يمكن اعتبار السكان الذين هم من اصل اوروبي ويقيمون في هذه البلاد ، **لا يمكن اعتبارهم اقلية قومية فرنسية** . بل هم يشكلون جمهورا من الناس يندمج شيئا فشيئا في جماعة بشرية جديدة ، في الامة الجزائرية الآخذة في التكون » ... (المرجع نفسه ، ص ٣٤)

ليس فرنسيو الجزائر اقلية قومية فرنسية . انهم اقرب للجماهير الجزائرية منه للفرنسيين . انهم يندمجون شيئا فشيئا في الامة الجزائرية الآخذة في التكون . — وعلى اندماجهم يتوقف بالتالي هذا التكون نفسه — . حتى الرجعيون المتطرفون من غلاة المستعمرين يدخلون في هذا الاندماج لانهم يختلفون عن رجعيي المتروبول ، لانهم اشد

الاعمال الفردية مرة اخرى

ولتبيان « مساعدة » الحزب الشيوعي الفرنسي ، يعود ليون فيكس الى البيان الصادر عن هذا الحزب في ٨ نوفمبر ١٩٥٤ . وهذا البيان كما رأينا « يستنكر » اعمال القمع ، ولكنه لا يؤيد الثورة ولا يتبناها بل يعلن معارضة الحزب لها تحت ستار معارضة « الاعمال الفردية » ، باسم الامانة لتعاليم لينين .

يبدو ان ليون فيكس قد شعر بالذنب . او قل ان الخدعة التي ارتكبها اسياده ومجمل السياسة التي ساروا عليها في فرنسا والجزائر قد اثارت تساؤلات كثيرة . فيضطر الى « التوضيح » .

يقول ان في البيان فقرة « تحتاج الى ايضاح » (!) ثم يورد الفقرة بنصها ـ الفقرة المتعلقة « بالاعمال الفردية » ويحاول التبرير ، فيقول :

صحيح ان لينين يعلمنا ان اشكال النضال متنوعة وهي تختلف من ظرف الى ظرف ، وان الماركسية لا ترفض بصورة مطلقة اي شكل من اشكال النضال ... الخ (ص ٤٤ ـ ٤٥) ولكن ...

لكن ماذا ؟ هل يعترف ليون فيكس بالخطأ ويتراجع عنه، ويعلن ان هذه « الفقرة التي تحتاج الى ايضاح » ليست الا موقفا « مناوئا للمبادىء » ، موقفا مخزيا لا يفيد الا الاستعمار

---

١ ـ هؤلاء يسمون فرنسيي المتروبول باحتقار (فرنكاوي) وهو تعبير عربي جزائري . ولكن هل نعتبرهم جزائريين وجزءا من ـ الامة الجزائرية ـ لمجرد استعمالهم هذا اللفظ ؟ فماذا يريد ليون فيكس؟

وان الموقف الصحيح الوحيد هو تأييد الثورة دونما تحفظ وبلا دروس او مواعظ ، ودعوة العمال الفرنسيين الى تأييدها ؟

كلا . ان همه التبرير . لذلك رأى من الضروري التحايل على الالفاظ وخلط الحابل بالنابل . فقال :

« ان الشيوعيين يحذرون الطبقة العاملة (؟) والجماهير مما يمكن ان يحولهم عن هدفهم الاساسي او ان يضعفهم في نضالهم خاصة بالسقوط في افخاخ العدو او بتسهيل عملياته على أي نحو كان » .

تمويه مفضوح

عجبا . ماذا يقصد ليون فيكس ؟ وما هو سبب كل هذا التمويه (١) ؟ هل هو يحذر العمال الفرنسيين في فرنسا ؟ وما هو المعنى « الموضوعي لهذا التحذير ؟ ام انه يخشى على الثورة الجزائرية من السقوط في افخاخ العدو ؟ وكي يكون « خوفه »مشروعا ، الا يجب ان يكون ، على الاقل ، من مؤيدي الثورة ؟ ...

من واجبنا ان « نطمئن » ليون فيكس وامثاله : لقد افلتت المبادهة من يد « العدو » . المبادهة بيد الثورة . بيد جبهة التحرير . **والارهاب** احد اشكال النضال الثوري ، احدى وسائل نشاط جبهة التحرير .

●●

الحقيقة التي لا مراء فيها ان الحزب الشيوعي الفرنسي

١ – هذا التمويه مفضوح كليا . ولئن تحدث بيان ٨ **نوفمبر** عن – **الاعمال الفردية** ، فان المقالات والبيانات والتوجيهات الصادرة عن القيادتين الشيوعيتين الفرنسية والجزائرية **تقول الارهاب** (الارهاب الوطني الجزائري) وتشجب هذا **الارهاب** !

لم يكن راضيا عن هذه الثورة . كان ضد الثورة .

لم يكن يريدها لانه لا يسيطر عليها . ولانها تنقص أيديولوجيته ، ايديولوجية الاتحاد الفرنسي والامة الجزائرية الهجينة الخاضعة لهذا الاتحاد . ولانه غارق في التعصب الاعمى لقوميته الاستعمارية الباغية . ولانه خاضع لسياسة الكتل والمعسكرات ولا يرى شيئا الا من خلالها .

وقد أدى به هذا الموقف ـ جملة وتفصيلا ـ الى اعتبار الثورة الجزائرية حجر عثرة في سبيل الجهود التي يبذلها لتحقيق التعاون مع شتى فئات البرجوازية اليمينية الفرنسية ولا سيما الديغوليون .

الجو السياسي في فرنسا

كان النضال محتدما في فرنسا حول مشروع اسرة الدفاع الاوروبية الذي يقيم جيشا اوروبيا موحدا يضم فرنسا والمانيا الغربية وغيرها من دول اوروبا الغربية .

وقد رفض البرلمان الفرنسي هذا المشروع باغلبية الاصوات . اذ عارضه نواب الحزب الشيوعي وتسعة اعشار النواب الديغوليين ، بينما انقسمت حياله الفئات الاخرى : الاشتراكيون والراديكاليون والجمهوريون الشعبيون (الكاثوليك)

وبذلك اصاب الشيوعيون الهدف . وسقط مشروع اسرة الدفاع الاوروبية .

ولكن كيف تم لهم هذا النصر ؟ ما هو سبب انقسام الاحزاب البرجوازية حول هذا الموضوع ؟ وما هو سبب المعارضة القوية من جانب الديغوليين ؟

كان مشروع اسرة الدفاع الاوروبية (أي انشاء جيش

اوروبي موحد) يتضمن شقين رئيسيين :

الاول اعادة تسليح المانيا الغربية . والثاني اخضاع الجيش الفرنسي (والجيوش الاخرى) لقيادة اوروبية مشتركة (من المنتظر ان يسيطر عليها الالمان الغربيون بدعم من الولايات المتحدة .

سبب معارضة الديغوليين

فما هو سبب معارضة الديغوليين يا ترى ؟ هل يعود السبب الى الشق الاول ام الى الشق الثاني ؟

يكفي ان نطرح السؤال لنتبين الجواب . والواقع ان سوستيل ودوبريه والديغوليين الذين يحكمون فرنسا اليوم والذين تعاون معهم الشيوعيون ضد اسرة الدفاع الاوروبية لم يخفوا سبب معارضتهم لمشروع الجيش الاوروبي الموحد. لم يعارضوه لانه يعيد تسليح المانيا . بل عارضوه لانهم يريدون ابقاء الجيش الفرنسي مستقلا سيدا على نفسه كي يستطيع التدخل بحرية تامة ودون ما قيد او حساب لحلفاء فرنسا ، في المستعمرات وخاصة في بلدان المغرب العربي .

لقد كتبت الاومانيته بتاريخ ١٨ شباط ١٩٥٤ :

« يجب احباط اتفاقات بون وباريس التي تكرس بعث العسكرية الالمانية ونهاية الجيش القومي الفرنسي » .

والحق يقال ان الشطر الثاني هو الذي كان يهم الديغوليين .

وقد تبين ذلك بوضوح منذ ٩ تشرين الاول ١٩٥٤ ، حين وافق البرلمان الفرنسي على اتفاقات لندن - **النسخة الجديدة** لبرنامج حلف الاطلسي ، المعدلة طبقا لرغبات ومصالح

الراسمالية الفرنسية وللمساومات بين الاشقاء المختلفين .
وتم انضمام المانيا الغربية الى حلف الاطلسي في ٢٣ تشرين الاول .

وهكذا فلم يدم النصر طويلا ...

الحلف الفاشل

وثابر الحزب الشيوعي على سياسته ، معلنا :

« ان اعادة تسليح المانيا الغربية هي المسألة الحاسمة في كل سياسة فرنسا » .

وعلى هذا الاساس ، بذل جهوده ـ دون فائدة ـ للمحافظة على التحالف المنهار مع البرجوازية « القومية » .

نقول التحالف المنهار لان الديغوليين وامثالهم يؤيدون تسليح المانيا ولا يبالون برغبات توريز ودعواته وصلواته .
اما العناصر البرجوازية القليلة التي تعارض هذا التسلح فلم يكن لها أي شأن فعال .

وبعد ايام قليلة ، نشبت الثورة الجزائرية ، من حاجات الشعب الجزائري وبمبادهة من خيرة ابنائه وبصورة مستقلة عن سياسة الكتل الدولية . ولم تكن هذه الثورة في حساب احد من الفرنسيين . وبدلا من ان يدعمها الحزب الشيوعي الفرنسي ، ويعدل خططه على ضوئها ، ثابر على احلامه القومية واستمر في الدعوة لبعث التحالف مع الديغوليين وغيرهم ، حفزه في هذا الطريق انحرافه القومي العنصري المستأصل الجذور .

وبعد تردد دام تسعة ايام ، اصدر بيانه الشهير ، حيث تجاهل الثورة واغفل وجود جبهة التحرير واعلن معارضته

« للاعمال الفردية » ...

ولما كان الحزب الشيوعي يريد المضي في سياسة « اليد الممدودة » للبرجوازية « القومية » ضد المانيا ، فقد اضاف البيان ما يلي :

« ان الكادحين سيعارضون بقوة (!) السياسةالاستعمارية المطبقة في الجزائر وفي كل افريقيا الشمالية ، خاصة وانها ترتبط ارتباطا وثيقا بسياسة **تسليح العسكرية الالمانية (!)** . انها تسعى الى تسهيل دخول وترسخ الاستعمار الجرماني في ارض افريقيا » .

تمويه اضافي

الحقيقة التي يجب الاعتراف بها ان موريس توريز يملك قدرة خارقة على « الربط » بين الاشياء (١)

ولكن ما هي المكاسب التي جناها الحزب الشيوعي الفرنسي من هذا « الربط » وهذه السياسة التي همها الاول والاخير الدفاع عن فرنسا والامة الفرنسية ضد « الجرمانية » في افريقيا ايضا ؟

وعندما يلوح توريز « بالخطر الجرماني » ، ليس قصده من ذلك الدفاع عن استقلال الجزائر وشعوب افريقيا ــ اذ هو لا يدافع عنهم ضد الاستعمار الفرنسي ــ انما همه العمل على تحقيق اتفاق مع البرجوازية « القومية » الفرنسية ــ

---

١ ــ اننا نشهد في هذا الموقف نفس الاسلوب العتيق الذي يقوم على وضع التناقض بين الاستعار الفرنسي واستعمار دول اخرى فوق الصراع بين الاستعمار الفرنسي والشعب الجزائري . وبذلك تبدو فكرة ــ الاتحاد الفرنسي ــ كحل من شأنه درء خطر استعمار الدول الاخرى ...

رغم الدعوات والصلوات التي يطلقها « لصالح » الشعب الجزائري ـ . ان التلويح بالخطر الجرماني جزء لا يتجزأ من سياسة « العظمة الفرنسية » ، القاسم المشترك بين الاحزاب الفرنسية ، والمطلوب منها ان تكون اساس الاتفاق المنشود .

من الرابح

وما دامت سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي قائمة على اثارة الشعور القومي الفرنسي بأي شكل كان وعلى حساب أي كان ، فلن يقدم هذا الحزب أية خدمة لا للشعب الجزائري ولا للطبقة العاملة الفرنسية . ولن يستفيد من هذه السياسة في نهاية المطاف ، سوى ديغول والديغوليين واليمينيين المتطرفين ...

لقد كتب توريز في جريدة الاومانيته بتاريخ ١٨ شباط ١٩٥٤ ان الشيوعيين يأبون ان يروا فرنسا تحولت الى دولة ثانوية .

« ان الادعاءات عن ضعف فرنسا المزعوم ترمي الى اضعاف الشعور القومي والعزة القومية عند شعبنا وافساد روح شبابنا لتحويلهم الى عبيد لاصحاب المليارات الاميركيين »

الشباب الفرنسي والشباب الجزائري

يجب القول ان توريز لا يهمه فقط عدم تحول الشباب الفرنسي الى عبيد لاصحاب المليارات الاميركيين ، انما يهمه أيضا بقاء الشباب الجزائري عبيدا لاصحاب المليارات الفرنسيين (ولجميع المنتفعين بالاستعمار) .

انه لا يدافع عن فرنسا ضد الاميركيين وضد الالمان

فحسب ، بل يدافع عنها ايضا ضد حركات التحرر الوطني الاستقلالية .

وهذا ما يعرف في صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي بسياسة « العظمة الفرنسية » (١) اما في الماركسية فيعرف باسم « الشوفينية » .

ويمكننا القول ان هذه السياسة قد مهدت الطريق للجنرال ديغول ... ولكن ما يهمنا نحن العرب بشكل خاص هو انها تتنافى مع حق الشعوب في تقرير مصيرها .

النظرية والتطبيق

الامة الجزائرية الآخذة في التكون في نطاق الاتحاد الفرنسي ذلك هو المرتكز النظري لسياسة الحزب الشيوعي الفرنسي في القضية الجزائرية .

وما دامت « الامة » الجزائرية لم تستكمل نشوءها وما دامت هي تتكون بتمازج « أجناس » مختلفة ، فلا يجوز التفكير بالاستقلال والسيادة .

وما دام تكون هذه الامة الجزائرية يتوقف على اندماج الجماعتين ، العربية ـ البربرية ، والفرنسية ـ الاوروبية ، لذلك يجب انتظار تحقق هذا الاندماج قبل التفكير بالثورة التحررية .

وما دام « الاتحاد الفرنسي » هو الهدف الاسمى للحزب الشيوعي الفرنسي ، بما ان الثورة الجزائرية تهدف الى الاستقلال التام ، فالحزب الشيوعي الفرنسي لا يمكنه ان

---

١ ـ هذا التعبير ليس من ابتكارنا . انه عنوان لواحد من اشهر مؤلفات توريز .

يؤيد هذه الثورة ، بل لا بد له من معارضتها عمليا والتشكيك بقيادتها ومستقبلها .

ولكن المعارضة الصريحة المكشوفة شيء مستحيل بالنسبة لحزب يقول انه حزب الطبقة العاملة ويدعي تأييد نضال الشعوب من اجل التحرر والاستقلال . فلا بد من تغليف المعارضة وتمويهها نظريا واطلاق استرة كثيفة من الدخان للتعمية ... الا ان هذا الخداع ينفضح بمقارنة هذه المواقف « النظرية » بالمبادىء والتعاليم التي ينادي بها هذا الحزب . كما ينفضح ايضا اذا ما انتقلنا الى الصعيد العملي .

الموقف العملي للحزب الشيوعي

عندما قامت الثورة الجزائرية ، كان الحزب الشيوعي الفرنسي يضم اكثر من مليون عضو (١) ، ويتمتع بستة ملايين صوت في الانتخابات اي « ثلث الناخبين » او « فرنسي واحد من اصل ثلاثة فرنسيين » حسب تعبير الاومانيته ، ويشرف على اكبر تنظيم نقابي للعمال الفرنسيين ، وهو « اتحاد العمل العام » الذي كان يتمتع بتأييد اكثر من ثلثي العمال والمستخدمين (على ذمة الاومانيته) .

فما هي الاعمال الجماهيرية التي قام بها الحزب الشيوعي الفرنسي انتصارا لشعب الجزائر ؟

عندما استفحلت الحرب في الهند الصينية وبعد ان خرج الشيوعيون من الحكم بسنوات عديدة ، قام الحزب الشيوعي الفرنسي بعدد من المظاهرات والاعمال الجماهيرية

---

١ ــ راجع اعداد جريدة الاومانيته . راجع ايضا كتاب ــ ابن الشعب لموريس توريز .

من اجل « السلم في فيتنام » وانهاء « الحرب القذرة » (١٩٥٠ ـ ١٩٥٣) .

فما هي الاعمال التي قام بها هذا الحزب من اجل الجزائر؟ هل اضربت جماهير العمال الشيوعيين ؟

كلا !

هل امتنع عشرات الالوف من الشباب الشيوعيين الفرنسيين عن محاربة الشعب الجزائري ؟

كلا أيضا ! . . .

انما العكس هو الصحيح . فقد بذل الحزب الشيوعي الفرنسي جهوده في الاتجاه المعاكس . وكان المسؤول الاول عن ضرب التيار الثوري الذي ظهر في صفوف الشعب الفرنسي عام ١٩٥٥ انتصارا للثورة الجزائرية .

المد الشعبي في فرنسا

ففي أواخر هذا العام ، ارتفعت اصوات كثيرة ضد الحرب الاستعمارية في الجزائر . وتوسعت الحملة يوما بعد يوم . فتوالت المظاهرات والاعمال المعادية للحرب : مظاهرات في محطة ليون بباريس ، ومظاهرات في مونيتي وغرنوبل وروان . وازدادت حوادث التمرد بين الشباب المطلوبين للخدمة العسكرية . بينما دللت الانتخابات العامة في ٢ كانون الثاني ١٩٥٦ ـ التي اسفرت عن نجاح القوى اليسارية التي خاضت المعركة الانتخابية على اساس برنامج معاد للاستعمار والحرب ـ على وجود امكانيات هائلة للقيام بحركة معادية للاستعمار من قبل الجماهير . وبلغ المد الثوري حدا لم يبلغه من قبل .

الا ان استمرار هذا المد ـ وبالاحرى مواصلة نموه ونجاحه ـ يتطلب خطة ثورية مبدئية ، ويحتاج الى نبذ فكرة الاتحاد الفرنسي الاستعمارية والاعتراف نظريا وعمليا بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره .

فهل يتخلى الحزب الشيوعي الفرنسي عن اخطائه وانحرافاته ؟ كلا . بل اختار هذه اللحظة الحاسمة بالذات كي يسدد ضربات جديدة لقضية الجزائر :

استنكار المظاهرات

الضربة الاولى هي استنكار هذا الحزب لمظاهرات غرنوبل وغيرها بتهمة انها مواقف يسارية متطرفة « واعمال فردية » و « فوضوية » ، وسكوته عن موقف الشباب الذين رفضوا حمل السلاح ضد الشعب الجزائري ..

واليكم ما تقوله جبهة التحرير عن هذا الموضوع :

« في ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ ، لاقت مظاهرات العمال ضد ذهاب المدعوين للخدمة العسكرية معارضة الحزب الشيوعي الفرنسي . واخذت جريدة الاومانيته « تفضح » اليساريين ، مخربي غرنوبل ، ولم تدع الى توسيع العمل ، ولم تطلق أي شعار للجنود الذاهبين للدفاع عن الامتيازات الاستعمارية وسكتت مدة طويلة عن موقف ألبان ليشتي وامثاله الذين رفضوا ان يحملوا السلاح ضد شعبنا » (المجاهد) الفرنسية العدد ٢١ ، اول نيسان ١٩٥٨ .

بيان ٢٠ آذار

والضربة الثانية هي البيان الذي اصدره المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي بتاريخ ٢ آذار ١٩٥٦ . وقد جاء

في هذا البيان الخطير :

« اننا نؤيد **وجود ودوام روابط سياسية واقتصادية وثقافية خاصة بين فرنسا والجزائر** • يجب تبديل السياسة يجب ان نريد عودة السلم في الجزائر . ولا سبيل الى ذلك الا بمفاوضة **الذين نتحارب معهم** ، كي نتوصل بسرعة الى وقف اطلاق النار في شروط تقر بمناقشة حرة ، والى وقف القمع واطلاق سراح جميع المعتقلين . هذا من شأنه ان **يفتح مفاوضات شريفة بين الحكومة الفرنسية وممثلي جميع تيارات الحركة الوطنية** ، جميع طبقات **السكان** الجزائريين دونما تمييز في الاصل » .

وفحوى هذا الكلام :

اولا . رفض حق الجزائر في الانفصال بتأكيد فكرة « الروابط الخاصة » و « الروابط الدائمة » .

ثانيا . اغفال وجود جبهة التحرير كهيئة سياسية (« الذين نتحارب معهم » = ؟) . وتجاهل قيادتها للحركة الوطنية وتمثيلها لشعب الجزائر العربي . اما عبارة « جميع تيارات الحركة الوطنية » فهي طعنة اخرى للحركة الوطنية ، لا سيما اذا تذكرنا ان جميع الاحزاب الوطنية فعلا قد حلت نفسها وانضمت الى جبهة التحرير الجزائرية . ولم يبق خارج نطاقها الا الذين خرجوا على اجماع الشعب وخرجوا على الحركة الوطنية : جماعة مصالي الحاج ، والحزب الشيوعي الجزائري التابع العميل .

ثالثا . الدعوة الى وقف اطلاق النار بدون اي مقدمة سياسية ، اي بدون اقرار حق تقرير المصير للجزائر ...

تأييد غي موليه

اما **الضربة الثالثة** ـ تتوج هذه السياسة الاجرامية ـ فهي موافقة الحزب الشيوعي الفرنسي على منح السلطات الاستثنائية لحكومة غي موليه بتاريخ ١٢ آذار ١٩٥٦ .

كان غي موليه سكرتيرا عاما للحزب الاشتراكي . وقد لعب رجال هذا الحزب (نيجلان ، بيشار ، والعشرات غيرهم) دورا اساسيا ـ ان لم يكن الدور الاساسي ـ في تطبيق السياسة الاستعمارية في الجزائر وافريقيا والهند الصينية خلال سنوات وسنوات . وكتبت جريدة الاومانيته مئات المرات ان الحزب الاشتراكي الفرنسي هو اكبر سند للرأسمالية الاستعمارية ، وان ليون بلوم ونيجلان وغي موليه وامثالهم هم عملاء للبرجوازية الفرنسية في صفوف الطبقة العاملة وعملاء للاستعمار الاميركي ايضا .

وبالرغم من ذلك كله ، فقد وافق الحزب الشيوعي الفرنسي في آذار ١٩٥٦ ، على منح السلطات الاستثنائية لحكومة غي موليه ... انسجاما مع روح المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي الداعية للتعاون بين الشيوعيين والاشتراكيين ! (١)

---

١ ـ ان روح المؤتمر العشرين هذه قد تفسر لنا تحول سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي تجاه الاشتراكيين في فرنسا ـ اذ قد يصح القول ان قيادة هذا الحزب اكرهت ـ معنويا ـ على التعاون مع « الاشتراكيين ـ الخونة » ـ ولكنها بالطبع لا تفسر لنا خيانة الحزب الشيوعي لقضية الجزائر . اذ ان هذه الخيانة مستمدة من جذور عميقة وعتيقة .

ولكن يجب الاعتراف بان سوسلوف ، وهو احد اقطاب الحزب الشيوعي السوفييتي ، قد انسجم هو ايضا مع خطة توريز . فجاء خطابه في المؤتمر العشرين نفسه (اواسط شباط ١٩٥٦) خاليا من ذكر الحرب القائمة في الجزائر منذ ستة عشر

والواقع ان هذا هو كل ما « استخلصه » توريز وأعوانه من المؤتمر العشرين : تبرير خيانتهم لشعب الجزائر ، وتوسيع هذه الخيانة ، ونقلها اكثر فأكثر الى الصعيد العملي ...

وسرعان ما تبين ان حكومة غي موليه حكومة استعمارية لا تفكر « بتحقيق السلم » في الجزائر الا بالقضاء على الثورة الجزائرية . فالسلم الذي تنشده هو السلم الاستعماري . كما تبين ان منح السلطات المطلقة لهذه الحكومة خطأ فادح ، بل قل جريمة نكراء ، مضمونها الوحيد تضليل العمال الفرنسيين وصرفهم عن النضال الجماهيري ضد الحرب الاستعمارية ، والسعي لتخدير شعب الجزائر ايضا .

وارتفعت ـ منذ البدء ـ أصوات عديدة في صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي ضد هذا الموقف الارعن . فهل تتراجع قيادة الحزب ؟

الجزء والكل مرة أخرى

كلا . في ٣ نيسان ١٩٥٦ ، وقف عضو المكتب السياسي ايتيين فاجون ، في اجتماع رسمي لشيوعيي منطقة باريس ، وقام بمحاكمة طويلة وشاقة خلاصتها ان موافقة الحزب على

شهرا . بل انه قد تجاهل هذه الحرب عمدا في عبارة واضحة المدلول ، فقال : « ان مجرد عدم وجود مكان واحد على الكرة الارضية تدور فيه رحى الحرب يبين اهمية ما حصل من تقدم في الوضع الدولي » . (خطاب سوسلوف ، الطبعة الفرنسية ، ص ٦ . الطبعة العربية ، ص ٦ ايضا) .

لقد اغفل سوسلوف الحرب القائمة في الجزائر . وكذلك أغفل خالد بكداش قضية الجزائر في خطابه امام المؤتمر المذكور. ثم تجاهلتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني في قراراتها الصادرة في اوائل ايار ١٩٥٦ (راجع كراس نحو آفاق جديدة) .

منح السلطات المطلقة لغي موليه ولا كوست كانت « عملا سياسيا عظيما يفتح الطريق لتطور العمل المشترك بين الشيوعيين والاشتراكيين » ثم اشاد مرة اخرى « بالنظرية التي تعلمنا انه لا يجوز ابدا التضحة بالكل في سبيل الجزء ».

كما اكد ليون فيكس « ان منح السلطات الاستثنائية راسمال يجب ان نستثمره » .

وكان ثمرة هذا الراسمال تقهقهر حركة التضامن مع الشعب الجزائري اعتبارا من آذار ١٩٥٦ حتى تشرين الاول ١٩٥٧ وبعده (١) .

واليكم ما كتبته جبهة التحرير الجزائرية بهذا الخصوص:

« ... وكان القضاء على تعبئة الجماهير بين آذار ١٩٥٦ وتشرين الاول ١٩٥٧ هو الثمرة المريرة للراسمال الذي تحدث عنه ليون فيكس ! وجاءت مظاهرات ١٧ اوكتوبر ١٩٥٧ التي اجريت للتغطية برهانا على تقهقر وعي الطبقة العاملة ازاء القضية الجزائرية . وكان فشل اسبوع الجزائر الذي دعا اليه « الاتحاد النقابي العالمي » والذي تبناه « الاتحاد العام للعمل » الفرنسي ، في فرنسا تتويجا لهذا التقهقر . » (المجاهد الفرنسية ، العدد ٢١ ، اول نيسان ١٩٥٨)

وتفاقمت الحرب الاستعمارية ، وازدادت فظائعها . وتسربت انباء هذه الفظائع الى الراي العام العالمي . وسقطت سمعة فرنسا وجيشها الى الحضيض .

---

١ ــ ومن ابرز مظاهر هذا الانهيار الفعلي عدم قيام اي حركة شعبية في فرنسا ضد العدوان الاثيم على مصر ، وعجز الحزب الشيوعي الفرنسي (او امتناعه) عن القيام بأي عمل ... بخلاف حزب العمال البريطاني نفسه !

توريز وجيش الاستعمار

اما توريز فقد اعلن :

« من حسن الحظ ان يظهر القسم الاعظم من الجيش والمجندين ومعظم ضباط الصف والضباط وحتى الجنرالات استنكارهم لهذه الاساليب الفاشستية . حتى الجنرال نافار اخذ يحتج على الاعمال البشعة التي تسند الى الجيش ، »

هذا ما يقوله رئيس الحزب الشيوعي الفرنسي عن جند الاستعمـــار .

منطـق عنيـد

ومضى اكثر من عام على منح السلطات الاستثنائية لغي موليه ، جرى اثناءه العدوان الغادر على مصر . ونشر ليون فيكس في جريدة الاومانيته ـ نيسان ١٩٥٧ ـ مقالا علـى خمسة اعمدة بعنوان « ردا على بعض الانتقادات المتعلقة بعمل الحزب ضد حرب الجزائر» ، برر فيه من جديد موقف الحزب في ١٢ آذار ١٩٥٦ ، وهاجم احد المعترضين اكتشفه فـي جريدة بولندية اسمها « راية الشباب » (؟) ، ثم قال :

« لا يجوز ان نترك دون جواب الادعاءات القائلة ان خطة الحزب لم تكن على ما يكفي من الحزم وان تصويت يوم ١٢ آذار كان غلطة » .

فما هو رد فيكس ؟

لقد اكتفى بالقول « ان الحزب كان على حق » . ـ هكذا ودون اي تعليل ـ ولكنه احجم عن تكرار الاحكام التي اصدرها حزبه قبل عام والتي وصفت تصويت ١٢ آذار بانه « عمل سياسي عظيم » وراسمال ضخم الخ ...

اما مرسيل اغرتو ، في كتابه « حقيقة الامة الجزائرية » الصادر في تموز ١٩٥٧ ، فقد فضل عدم التطرق الى هـذا الموضوع لدى تمجيده لسياسة حزبه . واغفله كليا ...

ولكن ثمة شيء اكيد : هو ان الحزب الشيوعي الفرنسي لم يعترف بخطئه ، وان قيادة هذا الحزب لن تعترف بهـذا الخطأ في يوم من الايام . ذلك لانه ليس خطأ عارضا وقائما بذاته . انما هو موقف ينبع من كل سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي ومواقفه . انه جزء لا يتجزأ من السياسة التي تعتبر قضية الجزائر مشكلة فرعية هامشية ـ « جزء من كل » ـ يضحى بها من اجل التعاون الفاشل مع البرجوازية القومية ومع الاشتراكيين . انه جزء من السياسة القومية العنصرية والانتهازية الاستعمارية التي تدعو الى بقاء الجزائر في «الاتحاد الفرنسي » والى عزلها عن الوطن العربي وعن الامة العربية .

الواقع ان الحزب الشيوعي الفرنسي لم يحد عن هـذه السياسة قيد شعره .

فقد اعلن ايتيين فاجون بتاريخ ١٣ نيسان ١٩٥٦ تأييد حزبه لـ « وجود **روابط دائمة** بين فرنسا والجزائر في الميدان السياسي والاقتصادي والثقافي داخل **اتحاد فرنسي حقيقي**»

وفي حزيران ١٩٥٦ ، دعا والديك روشيه ، باسم الهيئة الشيوعية في البرلمان الفرنسي الى « التفاوض مع ممثلـي الشعب الجزائري ذوي الصلاحية من اجل اقامة روابط يتفق عليها بحرية وتكون مطابقة لمصالح شعب فرنسا وشعـب الجزائر » .

ولكن لماذا يصر الحزب الشيوعي الفرنسي على « الروابط الدائمة » بين الجزائر وفرنسا ؟ ولماذا يصر على بقاء الجزائر في « اتحاد فرنسي حقيقي » ؟

لقد اعطى لوران كازانوفا التعليل في جلسة مجلس النواب المنعقدة بتاريخ ٢٠ آذار ١٩٥٧ ، حين اكد ما يلي :

« ان حزبنا يأخذ بعين الاعتبار المعطيات الواقعية التكميلية التالية : اولا وجود روابط ملموسة بين فرنسا والجزائر . ثم انه يوجد على الارض الافريقية منذ عدة اجيال سكان جزائريون من اصل فرنسي واوروبي ليس لمصالحهم اية علاقة بالاستعمار . واخيرا المعونة التي تحتاج اليها الشعوب الحديثة التحرر كي تسد التأخر الذي فرضه عليها النظام الاستعماري » .

الروابط الملموسة

هذا الكلام يشبه الى حد كبير ما تكتبه يوميا الصحف الموالية للاستعمار الفرنسي (١) اما الاشتراكية العلمية التي يتبجح بها هؤلاء فلا تعترف بأية روابط مشروعة بين المستعمر (بالكسر) والمستعمر ـ بالفتح ـ و « الروابط الملموسة » الوحيدة بين فرنسا والجزائر هي الروابط الاستعمارية القائمة على العنف ، روابط السلب والنهب والاضطهاد . واما الاقلية الاوروبية فهي احدى نتائج الفتح الاستعماري . والتوطين جانب من اخطر جوانب الاستعمار الفرنسي في الجزائر ومن ابشعها . ولا يجوز ان تقف هذه الاقلية عائقا امام حق الجزائر في الاستقلال الكامل .

ولو اخذنا بمنطق كازانوفا وفاجون وفيكس ، فما من مستعمرة يجوز لها ان تنفصل عن الدولة التي تستعبدها ـ اذ ان الدول الاستعمارية تكون دائما مثل هذه «الروابط» بينها

---

١ ـ مثلا بعض صحف بيروت كالاوريان ولوسوار والجريدة الخ ..

وبين المستعمرات ... وانما يجب ان يتحول الاستعمار ، في كل مكان ، الى وصاية شرعية ، سياسية واقتصادية وثقافية .

الموقف من الامة العربية

الروابط الدائمة بين فرنسا والجزائر في ظل الاتحاد الفرنسي ، هذا هو الشطر الاول من سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي .

اما الشطر الثاني الذي يكمل الاول ولا ينفصل عنه فهو معارضة دخول الجزائر في وحدة عربية او اتحاد عربي ومحاربة القومية العربية حسب خطة دائمة .

واليكم ما كتبه ليون فيكس بهذا الخصوص عام ١٩٥٦

« ان **بعض** الزعماء القوميين يدعون الى دمج البلدان الثلاثة في مغرب عربي او اسلامي واحد ، يرتبط بجميع **البلدان العربية والمسلمة** ، من مراكش الى باكستان . تلك فكرة قديمة **للجامعة العربية** ، آخذت بها مجددا الدوائر البرجوازية القائدة في القاهرة وكراتشي . وقد بين لينين وستالين منذ زمن بعيد الصفة الطبيعية للمشاعر الاخوية التي يكنها الجزائريون والتونسيون والمراكشيون تجاه بعضهم . وانه من الطبيعي ايضا ان يشعروا بعطف كبير نحو شعوب الشرق الادنى والاوسط ، بسبب **وحدة** الدين **وتماثل** اللغة ، وبسبب الدعم الذي لاقوه من هذه الشعوب في السنوات الاخيرة .

الا ان ذلك لا يبرر قيام وحدة سياسية تقف بوجهها كثير **من العناصر التاريخية والجغرافية والاقتصادية**

وغيرها . ثمة طريق اخرى ممكنة ، او بالاصح ما زالت ممكنة بالنسبة لشعوب افريقيا الشمالية هي طريق **الاتحاد الفرنسي** » . (مجلة دفاتر الشيوعية) .

هذا ما يقوله ليون فيكس في عام ١٩٥٦ . والواقع ان هذا الكلام غني بمضمونه ، غني بما يسوقه من اضاليل كثيرة .. ومن الضروري ان يتلوه القارىء اكثر من مرة حتى يستوعب هذا المضمون ويكشف هذه الاضاليل. وهذا ما فعلناه .

اولا : يعرض ممثل الحزب الشيوعي الفرنسي فكرة توحيد بلدان المغرب العربي كأنها فكرة ينادي بها بعض الزعماء القوميين بينما هي في الواقع بند اساسي من برنامج جبهة التحرير الجزائرية ومطلب اساسي للشعب الجزائري ولشعوب المغرب العربي وللعرب كافة .

وكذلك الامر بالنسبة لارتباط المغرب العربي الموحد « بجميع البلدان العربية » . فهو ايضا مطلب عام للشعب العربي في كل مكان . وقد اضطر خالد بكداش ـ وهو تلميذ من تلامذة توريز وذنب من اذناب فرنسا ومطبق آخر لمبادىء « الاشتراكية العلمية » وديالكتيك الجزء والكل ـ ان يعترف بالوحدة العربية في سنة ١٩٥٦ بالذات ! ففي تلك السنة ، اصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني قرارها الشهير عن الوحدة العربية (اوائل ايار ١٩٥٦) .

اذن ، ليس **بعض** الزعماء القوميين هم الذين يدعون الى الوحدة العربية ، بل الشعب العربي كافة ، مما اضطر الاتباع والعملاء من اخوان ليون فيكس في الوطن العربي الى الموافقة على هذه الوحدة والصياح من اجلها .

ثانيا : يخلط ليون فيكس ـ عمدا ـ بين البلدان

العربية والبلدان المسلمة ، بين القاهرة وكراتشي ، كي يضيع القارىء الفرنسي فلا يعود يميز بين الاشياء .

فهل طالبت الجامعة العربية ـ ما دام فيكس يذكر الجامعة العربية ـ بوحدة البلدان المسلمة « من مراكش الى باكستان » . ام انها قصرت دعوتها على البلدان العربية ؟

الحقيقة ان ليون فيكس يلجأ في هذا المجال الى نفس الاسلوب الذي يلجأ اليه جميع المستعمرين الفرنسيين، جميع ايديولوجيي الاستعمار الفرنسي ، الذين يكنون حقدا حيوانيا للعرب والقومية العربية والاسلام والمسلمين، ويشملون الجميع في هذا الحقد الموحد .

ثالثا : لا يميز فيكس بين القادة « البرجوازيين » في القاهرة وفي كراتشي . والحال ، في سنة ١٩٥٦ ، كان الاتحاد السوفياتي يشيد بسياسة القاهرة ويعلن عطفه وتأييده للوحدة العربية ... حتى أن شبيلوف ذهب الى ابعد من ذلك فأعلن ان مصر تسير في طريق الاشتراكية وان الرئيس جمال عبد الناصر يستلهم الاشتراكية (١) وعندما سئل شبيلوف عن امكانيات اقامة صناعة ثقيلة في سوريا ، اجاب بأنه لا داع لذلك ، فالامكانيات متوفرة في مصر والوحدة العربية التي ستتم قريبا ستحقق التكامل والتخصص الاقتصادي ... الخ ... حقا كان شبيلوف

---

١ ـ واضاف المعلق السوفييتي المعروف ، بوتشنكارين ، على ذلك هجوما مركزا على المشاغبين الذين يهاجمون حكومة مصر ويسمون انفسهم شيوعيين فهل يقصد الشيوعيين المصريين وحدهم ام الفرنسيين ايضا ؟؟

اما خالد بكداش فقد صرح امام عشرات من الشيوعيين ان « عبد الناصر وزملاءه هم الاشتراكيون الوحيدون الحقيقيون في مصر . وان الشيوعيين المصريين صهيونيون ... »

متحمسا للوحدة العربية . فمن نصدق شبيلوف ام ليون فيكس ؟ لقد ذهب شبيلوف وبقي ليون فيكس ...

رابعا : يضطر فيكس الى الاعتراف بالمشاعر الاخوية التي يكنها العرب نحو بعضهم . وكم كان بوده ان ينكر هذه الحقيقة البديهية لو لم يؤكدها قبله لينين وستالين. ولكن هل يخلص من الاعتراف بهذه المشاعر « الاخوية الطبيعية » الى تأييد القومية العربية والوحدة العربية ؟

كلا ! بل نراه يرفض الوحدة العربية ويرفض وحدة المغرب العربي ايضا !

العرب امة واحدة تتميز برابطة اللغة والارض والتاريخ والتكوين النفسي والحضارة والنضال المشترك والمصلحة القومية المشتركة اما ليون فيكس فلم يلاحظ الا **تماثل** اللغة ـ « او تشابه » ـ **ووحدة** الدين ـ « او اشتراك »ـ ونحن لا ندري ماذا يقصد فيكس من استعماله كلمتين مختلفتين ـ كلمة تماثل وكلمة وحدة ـ بدلا من كلمة واحدة للغة والدين . هل يريد ان يقلل ايضا من رابطة اللغة العربية ، ويزيد من رابطة الدين ـ التي لا تنكر بالطبع ـ تمشيا مع اسلوبه في خلط الاشياء ، والبلدان والعواصم مراكش وباكستان ، القاهرة وكراتشي الخ ... لاغراق القضية برمتها ؟ ...

اما التكوين النفسي المشترك عند العرب فيقصره على **المشاعر الاخوية** بين شعوب المغرب العربي ، وعلى **عطفها** نحو « شعوب الشرق الادنى والاوسط » .

واما الارض العربية المشتركة والثقافة العربية المشتركة والتاريخ العربي المشترك والمصلحة القومية المشتركة فلا ذكر لها عند ممثل الحزب الشيوعي الفرنسي . انه ينفيها

جملة وتفصيلا . انه ينفي الارض المشتركة . ويؤكد ان العوامل الجغرافية والتاريخية والاقتصادية تقف بوجه الوحدة العربية .

لقد كان خالد بكداش منذ اواخر سنة ١٩٥٥ وفي سنة ١٩٥٦ يؤكد ان العرب امة واحدة تتوفر فيها جميع مقومات الامة التي تقرها الاشتراكية العلمية - يقصد تعريف ستالين للامة - وهي رابطة اللغة والارض والتكوين النفسي والثقافة والتاريخ ، وحتى الاقتصاد ايضا ، ويؤكد ان تلك حقيقة واضحة وضوح « الشمس في رائعة النهار » لا ينكرها الا الصهيونون الوقحون والقوميون السوريون (١) . فمن واجبنا اذن ان ندخل ليون فيكس واستاذه موريس توريز في عداد « الصهيونيين الوقحين » .

وبعد فمن نصدق ؟ خالد بكداش ام ليون فيكس ؟ بكداش « الآفاق الجديدة » ام بكداش « طريق الاستقلال »؟

لقد اضطر خالد بكداش الى الدعوة للوحدة العربية خلال فترة من الزمن لانه يعيش في بلد عربي .

اما اساتذة خالد بكداش فلم يحتاجوا الى ذلك قط . بل ثابروا على خطتهم الاستعمارية الصهيونية .

خامسا . يذكر ليون فيكس الدعم الذي يلاقيه عرب

---

١ - جاء في خطاب خالد بكداش امام البرلمان السوري بتاريخ ٦ تشرين الاول ١٩٥٦ ما يلي : « ولا بأس من القول بهذه المناسبة بان الوقاحة بلغت بالصهيونيين اليوم درجة انهم يدعون ان اليهود يؤلفون قومية ، ينكرون ذلك على العرب ، بينا ان جميع مقومات الامة الانفة التي تعتبرها الاشتراكية العلمية، متوفرة في العرب ، كما هو واضح وساطع كالشمس في رائعة النهار ... » (كراس « حول قضية تسليح مصر » ، ص ٧) .
راجع كراس « نحو آفاق جديدة » ص ١٨ - ١٩

المغرب من اخوانهم عرب المشرق .

والواقع انه عاجز عن انكار هذا الدعم . فقد كانت الدعاية الاستعمارية نفسها تعترف به وتقيم ضجة حوله ، مقدمة بذلك اطراء مستحقا وغير مقصود لعرب المشرق في مصر وسوريا وفي كل مكان .

فهل يستخلص ليون فيكس من هذا الدعم الى النتائج التي تترتب عليه ؟ هل يلاحظ ان هذا الدعم اكبر بمئات المرات من الدعم الذي قدمه « شعب فرنسا والطبقة العاملة الفرنسية وحزبها » — حسب اللازمة التي يكررها فيكس وزملاؤه في مقالاتهم ؟ .. هل يفهم ان هذا « الدعم » وهذه « المشاعر الاخوية » تعني ان العرب اخوة في القومية وان طموحهم الى الوحدة طموح طبيعي مشروع ؟

كلا ! بل هو يؤكد ان الوحدة العربية عامة (ووحدة المغرب خاصة) تصطدم **بالعوامل « التاريخية والجغرافية وغيرها »** .

لقد كان بكداش يؤكد ان كل هذه العوامل — «التاريخية والجغرافية والاقتصادية وغيرها » — تعمل **من اجل** الوحدة العربية .

فقد جاء في قرار اللجنة المركزية البكداشية عن «الوحدة العربية» :

« ان طموح البلدان العربية الى وحدتها ليس وليد ظروف طارئة او رغبة عاطفية ، ولا نتيجة لدعاية فكرية قام بها حزب او فريق من الناس ، بل هو **مظهر لحاجة واقعية ، ونتيجة لتطور تاريخي موضوعي مستقل عن الرغبات والارادات . فان الارض المشتركة ووحدة اللغة والتاريخ المشترك والتكوين النفسي الذي ينعكس في الثقافة المشتركة**

والاوضاع الاقتصادية التي يتمم بعضها بعضا ، كل هـذه **العوامل الدائمة** التي تكونت تاريخيا والتي تتطور ، رغم ما اقيم ويقام في وجهها من **عوائق مصطنعة** ، في اتجاه موحد يؤدي الى ازدياد التقارب بين مختلف اجزاء البلاد العربية ، هي الاسس **الواقعية الموضوعية** التي تنبثق منها قضية الوحدة العربية » (كراس « نحو آفاق جديدة » ص ١٨) .

فاللجنة المركزية السورية اللبنانية في سنة ١٩٥٦ تقول ان الوحدة العربية حاجة واقعية ونتيجة لتطور موضوعي . وان العوامل التي تعمل لها عوامل اساسية دائمة : اللغة والارض والاقتصاد الخ ... وان العوائق التي تقف بوجهها فهي عوائق مصطنعة ...

اما الحزب الشيوعي الفرنسي فيقول في سنة ١٩٥٦ ذاتها عكس ذلك كله: فالوحدة العربية ووحدة المغرب العربي رغبة تراود بعض الزعماء ... والعوائق التي تقف بوجهها عوائق موضوعية وطبيعية : هي العناصر الجغرافية والاقتصادية والتاريخية وغيرها ...

سادسا . وهكذا يصل ليون فيكس الى بيت القصيد :

« الاتحاد الفرنسي » .

اذ لا يجوز لتونس والجزائر والمغرب التفكير بالاتحاد مع اشقائهم العرب . ثمة عوامل تاريخية وجغرافية واقتصادية وغيرها (؟) تعارض هذا الاتحاد ولكن يجب عليهم ان يعملوا من اجل الاتحاد مع فرنسا ـ اتحاد الحمل والذئب ـ . وامام رغبات توريز وغي موليه وديفول ، تذوب كل العوامل التاريخية والجغرافية والاقتصادية الخ.

يرى القارىء ان المسألة بالنسبة للحزب الشيوعي الفرنسي ليست مسألة حق الشعوب في تقرير مصيرها ،

وليست التزام هذا الحزب بمبادىء معينة . انما هي ، على حد عبارة شهيرة لايتيين فاجون « مسألة فرنسا ، وضمان بقائها دولة عظمى » .

تلك هي سياسة « العظمة الفرنسية » .

وعلى اساسها يعلن توريز المه العميق لهزائم فرنسا في المستعمرات ...

« منذ نيف وعشر سنوات ، ونحن نطالب باقامة علاقات غير العلاقات الاستعمارية بين فرنسا وبلدان ما وراء البحار . الا ان صوتنا لم يسمع ، فكانت العاقبة ما يعرفه كل أنسان عما جرى في سوريا ولبنان ثم في فيتنام والآن في مراكش الخ ... »

اجل ! في سوريا ولبنان ، في فيتنام ومراكش وفي الجزائر ، دافع توريز عن العظمة الفرنسية ... ولو استمعوا الى صوته ، لما حدثت هذه « الفواجع » ، لما حققت تلك الشعوب استقلالها ، بل ظلت تدور في فلك العظمة .

مع نمو الحرب الوطنية في الجزائر ، ونهوض قوى القومية العربية في الوطن العربي ، وازدياد خطرها على مواقع الاستعمار الفرنسي في الجزائر والمغرب العربي ، وارتفاع اصوات جديدة في فرنسا ضد مواقف الحزب الشيوعي الفرنسي وافتضاح الوجه الاستعماري لنظرية الامة الجزائرية الآخذة في النشوء والتكون ، اضطر موريس توريز الى تعديل هذه النظرية العجيبة . فاعلن في ١٥ شباط ١٩٥٧ ان الامة الجزائرية قد تكونت واستكملت نشوءها .

الا انه ، بتبنيه هذا الموقف ، وقع في تناقض صارخ مع نفسه . لقد كان ينظر الى تكون الامة الجزائرية من خلال

الاقلية الاوروبية ومن خلال تقدم عملية اندماج هذه الاقلية مع الجمهور « العربي ــ البربري » . والواقع ان مجموع الاوروبيين **تقريبا** كانوا في شباط ١٩٥٧ يقفون صفا واحدا خلف الاستعمار والمستعمرين . فأين الاندماج ؟ واين التكون ؟

واليكم ما تقوله جبهة التحرير الجزائرية بهذا الخصوص :

« بالحقيقة كيف يمكنهم (اي الشيوعيين) الموافقة على العمل المسلح اذا كانوا يشكون بصداه لدى الجماهير . وكيف يمكنهم الايمان بهذا الصدى اذا كانوا يحكمون على الوعي القومي من خلال الاقلية الاوروبية وتقدم عملية اندماج العناصر السلالية التي تعيش على الارض الوطنية الجزائرية . الا ان التاريخ لا ينتظر رغبات مفكري الحزب الشيوعي الفرنسي لكي يمزق الصور التي لا تنطبق على الواقع . وقد اصبح من العسير امام قوة حركة التحرر المحافظة على بعض الخرافات . وهكذا فقد رأينا موريس توريز ، الذي اكد طيلة سنوات انه ما لم يتحقق اندماج الاوروبيين والجزائريين ، لن تكون هناك امة جزائرية متكونة ، يعلن في ١٥ شباط ١٩٥٧ . ان الاندماج قد تحقق وان الامة الجزائرية قد تكونت ، في حين كان جميع الاوروبيين تقريبا متحدين خلف المستعمرين » .

لقد تبددت خرافة «الامة الجزائرية،الآخذة في التكون » فأحل توريز محلها فكرة الامة الجزائرية المتكونة والمنفصلة عن العرب والعروبة . اقدم على هذا التعديل في اوج الصراع بين القومية العربية من جهة والاستعمار الفرنسي البريطاني الاميركي ــ الصهيوني من جهة اخرى .

واستمر الحقد الحيواني على القومية العربية رغم الموقف الايجابي الذي تبناه الاتحاد السوفياتي آنذاك ، ورغم اضطرار

التلامذة السوريين واللبنانيين والاردنيين والمصريين والعراقيين الى « التساهل العملي والنظري » مع هذه القومية العربية .

واليكم بعض ما جاء كتاب مرسيل اغرتو الصادر في تموز ١٩٥٧ :

« منذ اواخر القرن التاسع عشر ، نشأت ونمت في الشرق الادنى وخاصة في مصر ، تيارات مختلفة تهدف الى تجديد الاسلام وتكييف الحضارة واللغة العربية مع مقتضيات النهضة الحديثة . وقد ولدت هذه التيارات افكار البان اسلامسم ــ الرابطة الاسلامية ــ والبان ارابيسم ــ الرابطة العربية ــ ، وهي ايديولوجيات ترتكز على مفاهيم مغلوطة تاريخيا ، كمفهوم وجود « **امة عربية** » ذات اساس عرقي وديني . وقد كان لهذه التيارات بحكم الضرورة انعكاساتها في الجزائر منذ ما قبل الحرب العالمية الاولى » (حقيقة الامة الجزائرية ، ص ١٧١) .

هذا ما يقوله اغرتو وفقا للخطة التي درج عليها حزبه منذ البدء والتي تقوم على خلط كل الأشياء : اللغة والدين والحضارة والامة . انه ينبذ ، بلهجة حزبه التقريرية الصارمة ، مفهوم وجود « امة عربية » . ويضع هذا « التعبير » بين مزدوجين ، محتقرا كل من تسول له نفسه التحدث عن امة عربية (بدون مزدوجين) . ويربط هذا « المفهوم » بالعرق والدين . وبذلك يكون الرد على فكرة « الامة العربية » ردا بديهيا يعرفه الجميع : ان « شعوب الشرق الادنى وافريقيا الشمالية » قد تكونت بتمازج عروق واجناس مختلفة . والعرب ليسوا الا عرقا من هذه العروق التي دخلت في تكوين هذه الامم ... ثمة بضعة

ملايين من العرب غير المسلمين . وهناك مئات الملايين من المسلمين غير العرب ...

ان اغرتو يفصل أمة عربية « على قده » ، كي تأتي مشوهة ، فيستطيع « تفنيدها » و « دحضها » .

اما تعبير بان ارابيسم فالقصد منه اتهام القومية العربية بالتوسع والعدوان والاستعمار ، على غرار ما فعل ليون فيكس قبل عشر سنوات .

ومع ذلك ، فقد كان يجدر بمرسيل اغرتو ان يسأل نفسه عن الاسباب التي فرضت انتشار « فكرة الامة العربية» في هذه البلدان حتى كانت لها انعكاساتها في الجزائر منذ « ما قبل الحرب العالمية الاولى » « بحكم الضرورة » .

ويعود مرسيل اغرتو الى فكرة الامة الجزائرية والشخصية الجزائرية ، ويثني على موقف زملائه الجزائريين ، فيقول :

« ان الحزب الشيوعي الجزائري لم يكف لحظة واحدة عن فضح جميع المفاهيم الرامية الى انكار او تشويه الواقع القومي الجزائري . فالجزائر هكذا يقول الشيوعيون ـ ليست الجزائر الفرنسية ولا الجزائر العربية ولا الجزائر المسلمة . الجزائر هي الجزائر ... » (المرجع نفسه ص ١٨٠)

شكرا لمرسيل اغرتو على هذا الايضاح عن الحزب الشيوعي الجزائري . اما ان الجزائر ليست الجزائر الفرنسية فهذا ما لا يشك فيه احد سوى توريز وفيكس واغرتو وغيرهم من دعاة « الاتحاد الفرنسي » !

وبعد . ما هو الفرق بين موقف الحزب الشيوعي الجزائري وموقف غي موليه حين قال في حزيران ١٩٥٦ :

« لا دولة مسلمة ولا دولة عربية ولا مقاطعة فرنسية ، ان للجزائر شخصيتها الخاصة التي يجب الاعتراف بها ، وفي

نفس الوقت ، تأمين اتحادها مع فرنسا المتروبولية بروابط فردية » .

ويتحدث اغرتو عن تقدم الوعي القومي للشعب الجزائري واشكال نضاله ، فيقول انه « لا يجوز التقليل من اهمية بعض الحوادث العالمية التي ساعدت الحركة القومية الجزائرية على توجيه جهودها بشكل افضل » .

ويبدو من البديهي ان يأتي في راس هذه « الحوادث العالمية » نهوض القومية العربية المعاصر : ثورة ٢٣ يوليو ، انتصارات الشعب العربي في سوريا وفي المغرب الخ ....

الا ان ممثل الحزب الشيوعي الفرنسي يرى الامور على نحو معاكس . ففي راس الحوادث العالمية التي ساعدت « الحركة القومية الجزائرية ... » ، نراه يضع « التأكيد التدريجي للمصالح القومية الخاصة بكل شعب من شعوب الشرق الادنى والاوسط وتبدد اوهام فكرة الرابطة العربية »

« ان التأكيد التدريجي للمصالح القومية الخاصة بكل شعب من شعوب الشرق الادنى والاوسط قد ساهم في تبديد اوهام فكرة الرابطة العربية » (المرجع نفسه ، ص ١٨٦) .

لقد عمل الاستعمار عشرات السنين على تجزئة الوطن العربي وابقاء هذه التجزئة . ولهذا الغرض ومن اجل تفتيت القومية العربية ، فقد ابتكر « مفكرو » الاستعمار والصهيونية شتى « النظريات » القومية ـ السورية والقومية ـ الفينيقية والقومية الفرعونية الخ .. هذا ما يعرفه كل عربي وما يعرفه كل انسان يؤمن بالعلم وبحق الشعوب في تقرير مصيرها . وحتى خالد بكداش العميل الاستعماري وتلميذ توريز اعترف بهذه الحقيقة التي قال عنها انها « واضحة وساطعة كالشمس في رائعة النهار » ...

والحقيقة التي لا بد من قولها ان الحزب الشيوعي الفرنسي قد بذل كل ما بوسعه لتثبيت هذه « النظريات »

الاستعمارية والصهيونية في سوريا ولبنان وتونس والجزائر ومراكش . بل ان مساعي هذا الحزب واولاده كانت اخطر هذه المحاولات جميعا ، لانها كانت مموهة ومغلفة بستار من « المبادىء » ، ولان الاولاد كانوا يبذلون جهدهم على الدوام لايهام العرب بان اباهم الفرنسي هو خير مدافع عن **قضاياهم** .

●●

في شهر شباط ١٩٥٨ ، اصدر اتحاد جبهة التحرير الجزائرية في فرنسا وثيقته الخطيرة « الحزب الشيوعي الفرنسي أمام الثورة الجزائرية » . ونشرت هذه الوثيقة في المجاهد الفرنسية (العددان ٢١ و ٢٢ ، نيسان ١٩٥٨) . وكشفت عن حقيقة مواقف الحزب الشيوعي الفرنسي . فضحت الروح الانتهازية والعنصرية التي تطبع مواقف هذا الحزب . كشفت عن مسؤولية الحزب في ضرب الاتجاه الشعبي الفرنسي للتضامن مع شعب الجزائر عام ١٩٥٦ . وفندت الاسس النظرية لمواقف هذا الحزب : مبدأ الاتحاد الفرنسي ، وفكرة الامة الجزائرية الآخذة في النشوء والتكون ...

فهل يتراجع الحزب الشيوعي الفرنسي عن اخطائه بعد ان وضعت نصب عينيه ؟ هل يعترف بهذه الاخطاء ، ويعمد الى تصحيحها ، ويسلك جادة الصواب ؟ هل يقوم « بالانتقاد الذاتي » المنشود ؟

كلا . انما اعلن بلسان ليون فيكس :

« نحن لا نشعر بذنب » .

وكان الاصح ان يقول :

« نحن فقدنا كل شعور » .

وسرعان ما تبين مرة اخرى ان ازمة الاستعمار

الفرنسي في الجزائر هي العامل الحاسم الذي يقرر مصير السياسة الفرنسية الداخلية ايضا . وانهارت الجمهورية الرابعة في شهر ايار ١٩٥٨ .

ان قضية الجزائر ـ وقضية تحرر شعوب المستعمرات ـ ليست مسألة فرعية او هامشية ، ليست « جزءا من كل » يضحى به في سبيل الكل المزعوم ، في سبيل الاتحاد مع البرجوازية القومية الفرنسية لتحقيق مجد الامة الفرنسية .

ان حرية الشعوب المستعبدة ، حرية عشرات ومئات الملايين من البشر ، ليست عملة للتداول . ومبادىء تقرير المصير وحق الشعوب في الاستقلال والانفصال ليست سلعة للاستهلاك .

الا ان كل سلوك توريز كان ضد حرية الشعوب . ان « حزب موريس توريز » لم يتردد لحظة واحدة في ان يتحول الى قوة دعم للاوساط الاستعمارية على حساب الشعوب .

فعلى حساب الشعوب ، قامت **واستمرت** الجبهة الشعبية في فترة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ . وفي ظل حكومات الجبهة الشعبية ، شهدت الجزائر تدابير الادماج واجراءات القمع والتعسف . وفي ظل هذه الحكومات ، تم سلخ لواء الاسكندرون عن الوطن الام .

وعلى حساب الشعوب ، قام الائتلاف الشيوعي ـ الاشتراكي ـ الديغولي في فترة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ . وفي عهد هذا الائتلاف ، حدثت مجزرة صطيف والعدوان على الشعب السوري ، ثم مجزرة مدغشقر وقصف مدينة هايفونغ .

ومن اجل تحقيق الوحدة ضد بعث العسكرية الالمانية، وقف الحزب الشيوعي موقف المعارض من الثورة الجزائرية ، وعمل على نشر روح الشك والحذر ازاءها . وصوت للاشتراكي الاستعماري نيجلان في انتخابات رئاسة الجمهورية . كما تعاون مع اليمينيين الديغوليين سوستيل ودوبريه .

ومن اجل تحقيق التعاون مع الاشتراكيين ، وافق الحزب الشيوعي على منح السلطات الاستثنائية لحكومة غي موليه وبينو ولاكوست ، واستمر في تأييد هذه الحكومة أشهرا طويلة ، حتى انه منحها اصواته في ديسمبر ١٩٥٦ ، (أي بعد العدوان على مصر) ، عندما كان مركزها مهددا في تصويت شاق على الموازنة. ذلك كله « لدرء خطر اليمين » عن فرنسا .

وانتصر اليمين . وقامت حكومة ديغول ودوبريه وسوستيل . قامت بمساعدة غي موليه وامثاله .

ومهد لهذا الانقلاب في الجزائر نفسها ، على يد الجيش وعلى يد تنظيمات المستوطنين الاوروبيين – رغم تغزل موريس توريز بهم طيلة نيف وعشرين عاما .

لقد أدى استمرار الحرب الاستعمارية في الجزائر واستفحالها ، في ظروف امتناع الحزب الشيوعي الفرنسي والاحزاب اليسارية عن معارضتها ، الى انتصار الرجعية المتطرفة في فرنسا ، قادمة من الجزائر .

« ان شعبا يضطهد غيره من الشعوب لا يستطيع ان يكون حرا » .

لقد ضحى الحزب الشيوعي الفرنسي بشعب الجزائر على مذبح سياسة التكتلات . وجعل منه سلعة للتبادل كي يخرج من عزلته .

ولم يخرج من عزلته . اذ ان هذه العزلة لم تنجم عن « تصلبه » المزعوم في قضية الجزائر . بل نجمت عن مواقفه اللامبدئية ، وتقلباته السياسية الانتهازية ، ومعارضته لروح المؤتمر العشرين ، وتمسكه بالستالينية ، وولائه المطلق لسياسة الكتل والمعسكرات .

لقد نادى موريس توريز ، خلال سنوات طويلة ، بالعظمة الفرنسية ، وعمل لها بدأب وثبات .

وانتصر ديغول . انتصرت العظمة الفرنسية .

« لا يحصد الانسان الا ما زرع » . (١)

وليس الحزب الشيوعي اليوم في عزلة وحسب . ـ فلو اقتصر الامر على العزلة ، لهانت المصيبة . ـ ولكنه ايضا يعاني الضعف والانقسام .

لقد مضت الايام التي كان يتبجح فيها هذا الحزب بأنه « ثلث فرنسا » . وهبطت اصواته الانتخابية من نيف وستة ملايين الى أقل من خمسة ملايين (٢) .. بعد جهد اثنتي عشرة سنة . وهبط عدد اعضائه من اكثر من مليون الى أقل من نصف مليون (٣)

هكذا ، فقد الحزب الشيوعي الفرنسي عددا كبيرا من

---

١ ـ ان الردة الشوفينية وتراجع الوعي الشعبي في فرنسا يقاس بالواقع التالي ، وهو ان اكثر من نصف العمال الفرنسيين قد صوتوا للجنرال ديغول في سنة ١٩٥٨ .

٢ ـ هبطت قوى الحزب الانتخابية الى خمسة ملايين ونصف مليون صوت ، ثم الى خمسة ملايين . وعلى اثر فوز ديغول ، وصلت الى ثلاثة ملايين فقط ! وعادت الآن من جديد الى اقل من خمسة ملايين .

٣ ـ نصف مليون هو الرقم الذي اوردته الاومانيته في عام ١٩٥٧ ، اما كتاب « الثورة القادمة » الصادر عن اتحاد اليسار الاشتراكي في اوكتوبر ١٩٥٧ فيذكر ٢٨٠٠٠٠ فقط . (المرجع المذكور ، ص ٢٧٥)

اصواته الانتخابية . وفقد ـ في احسن احتمال ـ اكثر من نصف اعضائه . ناهيك عن المعنويات . اذ هناك فارق كبير بين حزب آخذ في النمو والتوسع ينظر الى المستقبل بتفاؤل ، وبين حزب يفقد اعضاءه ويزداد عزلة .. بين حزب ينظر الى الامام وحزب ينظر الى الوراء .

لقد تراجع الحزب الشيوعي الفرنسي . بينما خطت الثورة الجزائرية خطوات كبيرة الى الامام لا سيما بعد قيام الحكومة الموقتة للجمهورية الجزائرية .

●●●

ومضت اشهر .

وانتصرت الستالينية في الشيوعية الدولية من جديد . وعادت الطمأنينة الى قلب توريز . وارتفع صوته عاليا :

« ان موقف حزبنا من القضية الجزائرية ... هو الموقف الصحيح الوحيد » .

ثم اخذ يصرخ بتأييد الثورة الجزائرية ويتظاهر بالتصلب والتشدد ضد السياسة الاستعمارية .

والحقيقة ان هذا التشدد نسبي وخاضع لظروف السياسة العامة .

فعندما صدر بيان ديغول بتاريخ ١٦ ايلول ١٩٥٩ ، اصدر المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي بيانا هاجم فيه المشروع جملة وتفصيلا ولم ير فيه اي جانب ايجابي . حتى انه أكد « ان مبدأ تقرير المصير ليس في هذه الشروط الا مناورة سياسية موجهة ضد الذين يناضلون في الجزائر من اجل الاستقلال ، هدفها تضليل

وخدع الرأي العام الديمقراطي في فرنسا والعالم » . وكان يريد بهذا التشدد ان يوهم الناس « بامانته للمبادىء » وان يظهر نفسه وطنيا اكثر من الوطنيين .. حتى ان صحف الحزب (مجلة فرانس نوفيل مثلا) أخذت تلمح بقرب حدوث تغيير وزاري في حكومة الجمهورية الجزائرية « باتجاه التصلب » الخ .. الخ .. وهكذا نسوا دفعة واحدة كل تعاليمهم ومواقفهم السابقة ...

ولم تمض ايام حتى بدأت قيادة الحزب تعدل موقفها من جديد لاسباب لا تمت بصلة للمبادىء . وبعد خطاب خروشوف بتاريخ ٣١ تشرين الاول ، كيفت هذه القيادة موقفها مع الاتحاد السوفياتي ، رابطة هذه « الخطة » الجديدة بسياسة الحزب التقليدية .

وهكذا فقد ورد في قرار اللجنة المركزية بتاريخ ٣ تشرين الثاني : « ان اللجنة المركزية تؤيد المكتب السياسي في اكماله (!) وتعديله للتحليل الاول الوارد في بيانه الصادر بتاريخ ١٧ ايلول ، معتبرة ان هذا التحليل الاول كان يبتعد في بعض النقاط عن التحليل العام للمشكلة الجزائرية ، كما وضعه الحزب مرارا ، لا سيما في مؤتمريه الرابع عشر والخامس عشر . »

وبهذا يكون الحزب الشيوعي الفرنسي قد اغتنم مناسبة تصريح خروشوف ليتراجع عن موقف التشدد . ذلك هو « الانتقاد الذاتي » الوحيد الذي اقدم عليه موريس توريز في موضوع الجزائر في مدة ثلاثين عاما .

وليس ثمة شك في ان التشدد لم يكن الا تظاهرة غرضها تغطية الحملة الجديدة على العرب والعروبة . فقد انضمت الاومانيته واخواتها الى جوقة اعداء القومية العربية من كل الصنوف . وفتحت صفحاتها لتلميذها

القديم خالد بكداش . وتبارى كتابها في الدس على العرب والكيد للجمهورية العربية المتحدة . فبصقوا من افواههم دفعة واحدة كل ما تراكم في قلوبهم من حقد . وتبنوا جملة وتفصيلا المزاعم الاستعمارية والصهيونية ضد العرب وضد الجمهورية العربية المتحدة : الدكتاتورية والفاشستية والتدخل في البلدان المجاورة والسعي لضمها قسرا واستعبادها لصالح الراسمالية المصرية ... لم يتركوا افتراء واحدا الا وتبنوه . وجاءت افتراءاتهم ضد الجمهورية العربية المتحدة متفقة كل الاتفاق مع ايديولوجيتهم الاصلية المعادية للعرب والقومية العربية .

لقد حملوا على اكتافهم تركة غي موليه وكريستيان بينو . والعبء ثقيل .

فلصالح من هذا الهجوم الدنيء على القومية العربية وعلى الجمهورية العربية المتحدة ؟

هل هو لصالح الشعوب ؟

هل هو لصالح الجزائر والثورة الجزائرية ؟

لقد شن غي موليه وشركاؤه حملتهم الجنونية ضد مصر عام ١٩٥٦ ، من اجل القضاء على الثورة الجزائرية ، وفرض « الاتحاد الفرنسي » على الشعب الجزائري .

ان الحزب الشيوعي الفرنسي ، في هجومه على الجمهورية العربية المتحدة ، يعمل لصالح الاستعمار والصهيونية ، ولصالح الاستعمار الفرنسي بشكل خاص .

ومهما حاول اليوم زعماء هذا الحزب التظاهر بتأييد الجزائر ، فان موقفهم الحقيقي هو الخيانة ، خيانة دامت منذ عشرات السنين ، خيانة تفضحها اليوم حملتهم المسعورة على القومية العربية وتأييدهم لاعدائها في شتى أرجاء وطننا العربي الكبير .